إفاغريوس البنطي / مرقس الناسك

فصول في الصلاة والحياة الروحية

٥

آباء الكنيسة

إفاغريوس البنطي / مرقس الناسك

فصول في الصلاة والحياة الروحية
من الفيلوكاليا

منشورات النور

«آباء الكنيسة»

١ ـ الآباء الرسوليون	
٢ ـ الحياة في المسيح	لنقولا كاباسيلاس
٣ ـ السلّم الى الله	ليوحنا السلّمي
٤ ـ في الكهنوت، أحاديث	ليوحنا الذهبي الفم
عن الزواج والرسائل الى أولمبيا	لإفاغريوس البنطي
٥ ـ فصول في الصلاة والحياة الروحية	ومرقس الناسك

قيد الاعداد

نسكيات	لإسحق السرياني
أقوال الآباء الشيوخ	
الفيلوكاليا	
مختارات	لغريغوريوس النازينزي

في عالم هجر الصلاة ـ ولا
نستطيع هجران الصلاة
دون أن يلحقنا ضيق ـ ليس
نشر مثل هذا الكتاب من
الكماليات . . . إنَّ تعلُّم
الصلاة وأصول الحياة
الروحية في أيامنا هي
الحاجة القصوى ليسترد
الإنسان ترابطه الداخلي
وسلامه و يفهم معنى
الكون . . .

الفهرست

القسم الأول : في الصلاة ٩
مقدمة للارشمندريت أندره سكريما ١١
النص لإفاغريوس البنطي ١٩
القسم الثاني : الناموس الروحي ٥١
مقدمة للراهب ثيوكليتوس الديونيسي ٥٣
النص لمرقس الناسك ٥٩
القسم الثالث : في الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبرّرون .. ٨٧
مقدمة للراهب ثيوكليتوس الديونيسي ٨٩
النص لمرقس الناسك ٩٥

القسم الاول

في الصلاة

لإفاغريوس البنطي

مقدّمة[1]

للأرشمندريت أندره سكريما

لماذا لا نعترف بادىء بدء بأنه يصعب علينا دائماً التكلم في الصلاة ؟ يعوقنا عن ذلك تارة نوع من الحياء ، وتارة اخرى الجهل ، وفي كثير من الأحيان عدم الاكتراث . . . ولكن أليس هذا إقراراً منا بأن الصلاة تتصل بجوهر حياتنا ؟ فإننا أمام الأمور الجوهرية فقط نقف مثل هذه المواقف ، ونشعر بأن الأمر يخصّنا في العمق ، وبالتالي نميل دوماً الى التهرب منه .

الحقيقة انه يجب الاقتراب من الصلاة بروح صلاة ، وأن الكلام نفسه الذي يصف الصلاة يجب ان يكون ثمراً لها . على هذا المنوال هو كلام إفاغريوس البنطي في مؤلفه عن الصلاة . فكلماته هي وليدة النار العظيمة التي تلهب النفس المصلّية ، ودون أن تحرقها تشعلها فرحاً وحباً . وحين تخاطبنا فهي تخاطبنا لكي تمسّ قلبنا ، أعني : لتضرم فيه اللهيب نفسه الذي ولّدها .

هذا لأن الصلاة هي فعل حياة . لا شك انه يحق لنا أن نتساءل ما هي الصلاة ؟ وكيف ينبغي أن نصلّي ؟ وما هي علامات الصلاة وصعوباتها وثمارها ؟ لكننا نحسّ جميعاً بأن الجواب الصحيح لا يمكن أن يصدر إلا عن الصلاة عينها .

« صلِّ ، والصلاة نفسها تعلّمك أن تصلّي » .

إنها تحمل معها دائماً غناها الخاص ونورها وغلبتها : لأننا

(١) معرّبة عن الفرنسية .

بها وحدها نأتي الى لقاء اللّه ونتقبله فينا ويتقبلنا فيه . وهذا من شأنه أن يفهمنا لماذا الصلاة هي العمل البشري الأكثر بساطة وسهولة ومباشرةً ، وفي الوقت نفسه هي من الأعمال الأكثر جداً وعمقاً وصعوبةً . إنه لأمر سهل أن نصلّي لأن ذلك لا يتطلب توفّر شروط مسبقة ، لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان . في كل مكان نحن أمام اللّه ، أمام إله حاضر أبداً ليصغي الى صلاتنا : فيكفي أن نتركها تصعد من أعماق نفسنا تشهد لحضورنا أمام عجب وجدّ الحياة الآتية من اللّه . إن صلاتنا في الحقيقة تتجاوز إطارها وفعلها دون انقطاع ، بل الصلاة الأكثر ثمناً هي بالنتيجة التي تجهل ذاتها :

« الراهب الذي يصلّي فقط حين يصلّي هذا الراهب (ويجب القول بالأحرى هذا الإنسان وحسب) لا يصلّي مطلقاً ».

هذا ما يقوله لنا آباء تلك البرّية التي نشأ فيها إفاغريوس أيضاً والتي كانت مكاناً عظيماً للصلاة . نحن لا نستطيع أن نرضي ضميرنا إذا جعلنا صلاتنا فرضاً آلياً ، مقصوراً على بعض أوقاتنا ، منفصلاً عن بقية حياتنا . حصّة اللّه هي الكلّ : وبهذا نقترب من الوجه الصعب في الصلاة . لأننا من أية زاوية نظرنا إليها وجدناها تبقى قبل كل شيء لقاء مع اللّه : واللقاء يعني مبادلة وفي الوقت ذاته مواجهة . الإنسان من جهة واللّه من جهة أخرى بل الإنسان الحي والإله الحي : ففي الصلاة ينفتح الواحد للآخر ويعطي ذاته للآخر ، وإذا كان اللّه يقدّم ذاته قرباناً كلياً منذ الدهر لتكون للعالم حياة ، « وحياة أوفر » (يو ١٠ : ١٠) فهل نحن في الواقع

مستعدّون « للخروج من أنفسنا » ـ كما يدعونا إفاغريوس الى ذلك ـ والسعي للقاء هذا الإله الذي تصدر منه الدعوة الى الصلاة ؟ فإذا كانت الصلاة عطيّة اللّه وعطيّة الحياة فهي تفترض جوابنا ، بل هي جوابنا عينه ننسجه بصبرنا وكدّنا وألمنا وفرحنا . بكلمة واحدة هناك للصلاة وجه جهادي ، وجه الصراع مع الملاك في الليل : هل سنخاف من هذا الأمر بينما نعلم حق العلم ان الإنسان بهذه الصلاة فقط يكبر الى قامة اللّه ويصير أهلاً لنوال بركته ؟ إن الذين عاشوا بركة الصلاة ، وإفاغريوس أحدهم ، قد ذاقوا الفرح والمشقّة كليهما .

« إذا رغبت أن تصلّي فأنت تحتاج الى اللّه الذي يهب الصلاة للمصلّي ، فادعه إذاً » .

« إذا توخيت الصلاة لا تأتِ أي عمل يتنافى وإياها لكي يقرب اللّه ويسير معك » .

ونكتشف فجأةً ، في نور جديد ، ان الصلاة تختلط بصورة صميمة خفيّة مع كل حياتنا . وخاصة مع موقفنا من إخوتنا : أي من جميع الناس . فالطريق الأقصر نحو اللّه ونحو أنفسنا يمرّ بهذا الموقف . نحن نصلّي إذاً عندما نترك الصبر والوداعة والمحبّة تنسكب في كل مناسبة ومن أجل الجميع . ولذلك يقول إفاغريوس :

« الصلاة إبنة للوداعة وعدم الغضب » .

« الصلاة ثمرة الفرح والشكر » .

« الصلاة إقصاء للحزن وثبوط العزيمة » .

« إذا أردت أن تصلّي كما يليق باستحقاق ، اكفر بنفسك كل ساعة وان عانيت كل أنواع المضادات تقبّل ذلك بحكمة ، حباً بالصلاة ».

« كل مشقّة تتقبلها بحكمة ، تلقى ثمارها وقت الصلاة ».

« ان رغبت أن تصلّي كما ينبغي ، لا تُحزن أحداً البتّة ، و إلاّ فباطل سعيك ».

ولكن إذا كانت الصلاة تنبثق وتصعد من حياتنا بكاملها فإن كل حياتنا أيضاً تصعد مع الصلاة فنتخطى حدود الأنانية الضيّقة ، وندخل ، بالرغم من ضعفنا ، في الشركة مع الجميع :

« راهب هو من انفصل عن الكل واتحد بالجميع ».

« راهب هو من عدّ نفسه واحداً مع الجميع ، كونه يرى نفسه في كل أحد ».

وذلك لأن الصلاة تقوّي التصاقنا باللّه . لا شك اننا في البداية نتقدم بخطى حائرة وبلجلجة الأطفال (وهذه هي الصلاة المحببة عند اللّه)، نتكلم عن أنفسنا ، نحكي أنفسنا ، نفكر في أنفسنا . ولكن الذي يصلّي حقاً لا يقدر ان يتوقف كثيراً عند ذاته : بل يعبر ذاته ويقرّب نفسه للّه ولإخوته ، إنه يوسّع صلاته . إن الصلاة ، ونحن ننسى ذلك كثيراً ، تنبت من الشكر (ناكر الجميل يصلّي بصعوبة)، ثم تزدهر في التسبيح مثبتة فينا شهادة حياتنا للّه ، وبعدئذٍ فقط تصبح أيضاً طلبة : وهذه الطلبة عند ذاك تُستجاب بلا ريب ، حسب وعد ربّ الصلاة نفسه (لو

١١ : ٩ ـ ١٠) . هنا أيضاً يقودنا إفاغريوس الى قلب الصلاة حين يقول :

« كثيراً ما طلبت ، في صلواتي ، تحقيق ما اعتقدته صالحاً لي ، وكنت ألجّ في طلبي مقاوماً بجهل إرادة الله غير مسلّم لعنايته الإلهية ، كي يأمر هو بالحري بما يعرفه نافعاً لي ؛ بيد أنه ، بعدما نلت مطلبي ، كانت خيبتي عظيمة لتفضيلي تحقيق مشيئتي ، لأن الأمر استبان في الواقع على غير ما كنت أتصوره » .

وهذا طبعاً ليس ليثبط همّتنا بل ليزيدنا اضطراماً في هذه الصلاة التي بدأت تخفق فينا ، وتحملنا وتحيينا سرياً ، ناظرين الى نهاية الصلاة التي لا نهاية لها :

« لأنه عندما ستسمو في صلاتك فوق كل الأفراح الأخرى ، تكون في النهاية قد وجدت الصلاة حقاً » .

من هو إفاغريوس البنطي ؟

● ولد إفاغريوس البنطي في منتصف القرن الرابع (حوالي عام ٣٤٥) في مدينة إيبورا على شواطىء البنطس في آسيا الصغرى .

● شبّ في ظلّ القديسين الكبادوكيين وصادقهم : رسمه باسيليوس الكبير قارئاً ، وغريغوريوس النيصصي شماساً ، وكان له غريغوريوس النزينزي معلّماً ـ وقد كتب عنه قائلاً « غريغوريوس البار الذي غرسني » ـ ثم صار لخلفه نكتوريوس (عام ٣٨١) رئيس شمامسة في القسطنطينية .

● كان ذا ثقافة عالية ومهارة في علم الجدل وشخصية

جذّابة ، فعشقته سيدة كبيرة من البلاط الامبراطوري عشقاً قوياً ، وكاد يستسلم ، ولكنه رأى حلماً نبّهه فهرب على أثره الى القدس . وهناك ، بعد تردّد كثير ، وبتأثير القديسة ميلاني ، اختار الانخراط في السيرة الرهبانية .

● أتى مصر موطن الرهبانية حوالي العام ٣٨٣ ، حيث بدأ حياته الجديدة على يد مكاريوس الاسقيطي . رافق كبار الرهبان أمثال مكاريوس الآخر الاسكندري والأخوين أمونيوس . وبقي في مصر حتى مماته عام ٣٩٩ . كان يعمل كناسخ . أراد البطريرك ثيوفيلوس أن يسيمه أسقفاً فرفض .

● يدين لغريغوريوس النيصصي بصورة خاصة بآرائه في النسك ، ولكن التأثير الأكبر عليه كان لأوريجنس ، وقد قبل نظرياته دون تحفظات الكبادوكيين . إلا أنه ، انطلاقاً من أوريجنس أنشأ مذهباً روحياً خاصاً به .

● إن حملة بطريرك الاسكندرية على أوريجنس في بداية القرن الخامس شملت إفاغريوس أيضاً ، فأدانه المجمع المسكوني الخامس عام ٥٥٣ مع أوريجنس وديديموس .

● اسمه وارد في أنافورة الكنيسة السريانية ، ويذكره سنكسار الكنيسة الأرمنية بتاريخ ١١ شباط .

● له مؤلفات كثيرة هي في الإجمال قصيرة ولكنها كثيفة . وصلنا معظمها في الترجمة السريانية . ولكن بعضها ، وهي مهمة جداً ، وصلت إلينا في النص اليوناني الأصلي منسوبة للقديس نيلوس السينائي ، ومن جملتها المقالة في الصلاة التي ننشر ترجمتها

الآن . وقد أثّرت بصورة غير مباشرة على كل العصور الوسطى البيزنطية ، وخاصة على القديس مكسيموس المعترف . ولقد اثبتت نسبة هذه المؤلفات الى إفاغريوس علمياً بصورة نهائية . وتم إثبات نسبة مقالة الصلاة اليه عام ١٩٣٤ من قبل الأب إيريني هاوزر اليسوعي .

مجمل آراء إفاغريوس في الصلاة

تحديد الصلاة : هي محادثة الذهن للّه ، وعمله الخاص بطبيعته ، وغذاؤه ، وأفضل طرق استخدامه . ولكن المحبة هي الدافع لها ، وفي الصلاة نزداد محبة باطراد . لأن محبتنا للّه وحدها تجتذب الذهن وتجعله « يهجر » هذه الأرض .

شروط الصلاة : إنها تفترض الندامة المتوجّعة والشعور المنسحق بالخطيئة . وتتطلب الانتباه والحزم والثبات . وتشترط المحبة الأخوية . ويحذّر إفاغريوس من الرتابة والسطحية والثرثرة .

درجات الصلاة : الصلاة صعود الذهن نحو اللّه ، ولها درجات ثلاث يسمّيها إفاغريوس : الحياة العملية ، والتأمل الأدنى ، واللاهوت أو تأمل الله .

أ ـ في طور « الحياة العملية » نكتسب الفضائل ، أي نتحرر من الأهواء . لأن الأهواء تثير في الذاكرة الذكريات والأفكار الأهوائية التي تمنع الذهن من الإلتصاق باللّه وتجعله يشرد . فيجب بالتالي إنكار الجسد والنفس ، أي إنكار الذات وقبول كل محنة ، وتفضيل مشيئة اللّه على مصلحتنا الذاتية .

ب ـ في طور « التأمل الأدنى » ، بعد التطهّر من الأهواء واقتناء الفضائل والبلوغ الى حالة اللاهوى ، نصل الى تأمل الخلائق أو معاني الكائنات . ولكن على الذهن ان لا يتوقف هنا بل ان يتجرر أيضاً من الأفكار البسيطة ويتجاوز كل شكل وصورة ليبلغ الى اللّه اللاهيولي .

ج ـ في طور اللاهوت أو « التأمل الأعلى » نتأمل اللّه وليس الخلائق ، وهذه هي الصلاة الحقيقية الخالية من التشتيت ، أو الصلاة النقية التي تتخلى عن الأفكار . إن إفاغريوس يدعو هذه الحالة مغبوطةً لأنها تفوق كل فرح آخر . إن مثل هذه الصلاة نعمة وهبة من اللّه يمنحها للأنقياء . ولكن قد يزورنا الروح القدس أحياناً ونحن غير كاملي التطهير ، تعطفاً منه على ضعفنا ، اذا وجدنا نصلّي راغبين في الصلاة الحقيقية .

وفيما يلي نص إفاغريوس .

لإفاغريوس البنطي

كنت أتحرق بحمى الأهواء لما شفيتني ، كعادتك ، برسالتك الورعة . وكان ذهني يتخبط في المعايب فأحييته مقتدياً بالمعلّم والطبيب[1] . ولا عجب فإن نصيبك كان دائماً الأفضل كالسعيد الذكر يعقوب . فبعد خدمة جليلة في سبيل راحيل اخذت ليا[2] ، وها أنت لا تزال تلتمس المحبوبة [3] التي من أجلها كرّست السنين السبع . أمّا أنا فأعترف بأني تعبت الليل كله ولم أصب شيئاً[4] . غير اني لما ألقيت الشبكة على كلمتك اصطدت سمكاً كثيراً . ليس هو بكبير ، ولكنه بالعدد مائة وثلاث وخمسون ، أرسله إليك في سلة المحبة ، عدداً مساوياً من الفصول ، إجابة لطلبك .

وإني لأعجب بك وأحسد رغبتك الجامحة في اقتناء هذه الفصول عن الصلاة . فإنك لا ترغب فيها مجرد كلمات مخطوطة بحبر على ورق ، لكنك تبتغي التي تثبت في الذهن بالمحبة السموح وفقدان الحقد . وبما ان « كل شيء اثنان ، واحد بإزاء

(١) القديس مكاريوس الاسكندري

(٢) ترمز ليا الى الجهاد النسكي (حياة العمل) وراحيل الى حياة التأمل والصلاة (تك ٢٩ : ٢٥).

(٣) الصلاة

(٤) انظر لوقا ٥ : ٥ .

الآخر » كما يقول الحكيم ابن سيراخ [1] فتقبل هديتي هذه بحرفها وروحها معاً . ولا يكن خافياً عليك ان الروح يتقدم على الحرف إذ بانعدامه لا يكون الحرف أيضاً . وعليه فللصلاة أيضاً وجهان : وجه عملي ووجه تأملي ، على منوال ما للأعداد من وجه ملموس وهو الرقم ووجه معني مرموز اليه بالرقم .

لقد قسّمتُ مقالي إذاً الى ١٥٣ فصلاً وبذا أكون قد ارسلت إليك طعاماً إنجيلياً[2] ستجد فيه روعة العدد الرمزي مع صورتَي المثلث والمسدس اللذين يمثّلون عقيدة الثالوث ونظام هذا الكون : فالعدد ١٠٠ مربع والعدد ٥٣ يتألف من العدد المثلث ٢٨ ومن العدد الدائري ٢٥ الذي هو حاصل ضرب ٥ بـ ٥ . فعندك إذاً صورة مربعة من أجل الفضائل الأربع وصورة دائرية من أجل معرفة الدهر الحاضر معرفة حقيقية في العدد ٢٥ نظراً لدوران الأوقات . فإنها تجري والاسبوع يعقب الاسبوع والشهر يتلو الشهر والسنة تطوي السنة والفصل يتبع الفصل كما نلاحظ من حركة الشمس والقمر ، والربيع والصيف . . . الخ . أمّا الصورة المثلثة فترمز الى معرفة الثالوث الأقدس . وإذا حسبنا بشكل آخر واعتبرنا العدد ١٥٣ مثلثاً (إذ هو حاصل جمع الأعداد الثلاثة الآنفة الذكر) فإننا نرى فيه العمل ، والتأمل في الطبيعة ، والتأمل في الله ، وأيضاً الإيمان والرجاء والمحبة ، ذهباً وفضة وحجارة كريمة[3]

(١) ٤٢ : ٢٥ .
(٢) يو ٢١ : ١١ .
(٣) ١ كور ٣ : ١٢ .

هذا من ناحية العدد . أمّا من ناحية الفصول نفسها فلا تستخف بصغرها فإنك تعرف كيف تستفضل وكيف تنقص[1]. وتذكر المعلّم الذي لم يرفض فلسي الأرملة بل قبلها وآثرها على ثروة كثيرين[2] . وبعد ان تطلع على ثمر العطف والمحبة احتفظ به لإخوتك طالباً إليهم ان يصلّوا من أجل المخلّع كيما يبرأ فينهض ويمشي حاملا سريره بنعمة المسيح إلهنا الحقيقي الذي له المجد الى أبد الآبدين آمين .

١ ـ إذا رغبنا في صنع عطر زكي الرائحة ، مزجنا بنسب متساوية ، وفق أحكام الشريعة[3] ، البخور النقي والقرفة والمرّ وعقيق اليمان : هذا هو رباعي الفضائل ، فإذا كانت كاملة ومتوازنة كان العقل مصاناً من كل خدعة .

٢ ـ النفس المتطهّرة بكامل الفضائل تثبّت الذهن ، مؤهلة إياه لنوال الحالة[4] التي ينشد .

٣ ـ الصلاة هي عشرة الذهن[5] مع اللّه ؛ فأية حالة يحتاجها إذاً لينطلق ويبادر الى ربه ، دون الرجوع الى خلف ، ويتحدث معه دون أي وسيط !!

---

(١) في ٤ : ١٢ .
(٢) لو ٢١ : ٣ .
(٣) الخروج ٣٠ : ٣٤ .
(٤) يحدد إفاغريوس الصلاة بأنها « حالة » للذهن .
(٥) الانسان في عرف الآباء جسد ونفس « وذهن » او روح ، وهو اعمق من العقل ويتجاوز المشاعر والكلمات .

٤ ـ إذا كان موسى ، عندما حاول الاقتراب من العلّيقة الملتهبة ، قد مُنع الى ان خلع نعليه من رجليه ، فكيف أنت ، الذي تطلب معاينة من هو فوق كل فكر وكل شعور ، لا تنزع عنك كل فكر هوى ؟؟

٥ ـ صلِّ أولاً لتنال هبة الدموع ، كيما تلينّ بوخز الندامة قساوة نفسك ، وباعترافك للرب بإثمك تحصل منه على الغفران .

٦ ـ استعمل الدموع لتنجح في كل طلباتك ، لأن الرب يرتضي الصلاة الصائرة بالدموع .

٧ ـ حتى وإن سكبت ينابيع دموع في صلاتك لا تترفع في داخلك ، فإنك فقط حظيت بعون لتتمكن من الاعتراف بخطاياك وتستعطف الرب بدموعك .

٨ ـ لا تحوّل الى هوى ما هو دواء للأهواء إن شئت ان لا تُغضب من وهبك هذه النعمة ؛ فكثيرون ممن كانوا يبكون خطاياهم جنّوا وضلّوا لأنهم نسوا هدف دموعهم .

٩ ـ قف بشجاعة ، وصلِّ بعزم ؛ أبعد الاهتمامات والأفكار التي تعرض لك ، لأنها تقلقك وتعكّرك لتوهن قوتك .

١٠ ـ عندما يراك الشياطين راغباً بحرارة في الصلاة

الحقيقية يوحون لك أفكاراً عن أشياء يصوّرونها لك ضرورية ؛ وبعد مدة يحرّكون فيك ذكر هذه الأشياء دافعين العقل للبحث عنها ، وإذ لا يجدها يتكدّر ويغتمّ . عندذاك ، يعودون وقت الصلاة فيذكّرونه بما كان يبحث عنه لكي يسترخي بسبب هذه المخالطات فلا يحصل على الصلاة المثمرة .

١١ ـ اجتهد ان تجعل عقلك أصمّ وأبكم أثناء الصلاة ، وهكذا تقدر ان تصلّي .

١٢ ـ إذا أتاك ما يثيرك أو يضايقك وحنقت وأحسست بالغضب يدفعك للرد بالمثل او للإجابة ، تذكّر الصلاة وما ستواجه فيها من دينونة ، فيهدأ انفعالك للحال .

١٣ ـ كل عمل إنتقامي تأتيه ضد أخ آذاك ، سيكون لك حجر عثرة وقت الصلاة .

١٤ ـ الصلاة ابنة للوداعة وعدم الغضب .

١٥ ـ الصلاة ثمرة الفرح و الشكر .

١٦ ـ الصلاة إقصاء للحزن وثبوطٍ العزيمة .

١٧ ـ إذهب ، بعْ كل مالك وأعطِ المساكين ، ثم احمل الصليب ، واكفر بنفسك ، كيما تستطيع الصلاة دون شرود .

١٨ ـ إن أردت أن تصلّي كما يليق باستحقاق أكفر بنفسك كل ساعة ، وإن عانيت كل أنواع المضادات تقبّل ذلك بحكمة ، حباً بالصلاة .

١٩ ـ كل مشقة تتقبلها بحكمة ، تلقى ثمارها وقت الصلاة .

٢٠ ـ إن رغبت أن تصلّي كما ينبغي ، لا تُحزن أحداً البتة ، وإلاّ فباطل سعيك .

٢١ ـ قيل : دع قربانك أمام المذبح واذهب أولاً واصطلح مع أخيك ثم تعال[1] ، وصلّ دون قلق . لأن الحقد يعمي بصيرة المصلّي ويغلّف صلواته بالظلام .

٢٢ ـ الذين يتركون الأحزان والأحقاد تتراكم داخلهم ، متوهّمين الصلاة ، هم كمن يضخّون ماء الى برميل مثقوب .

٢٣ ـ إذا كنت صبوراً صلّيت دوماً بفرح .

٢٤ ـ في وقوفك للصلاة كما يجب ، تعترضك أمور تستوجب الغضب بحق في نظرك . ولكن ليس من غضب محقّ على القريب إطلاقاً . فإذا بحثت جيداً تجد انه من الممكن تدبير الأمر دونما غضب . فاستعمل إذن كل الوسائل كي لا تنفجر غاضباً .

---

(١) متى ٥ : ٢٤ .

٢٥ ـ احترس أن تصبح ، بحجة شفاء الغير ، عديم الشفاء أنت ، وتهدم صلاتك .

٢٦ ـ إذا احجمت عن الغضب وجدت رحمة ، وأثبت أن لديك فطنة كافية لتحاشي الفخ المنصوب لك ، وغدوت في عداد رجال الصلاة .

٢٧ ـ متى تسلّحت ضد الغضب لا تترك أبداً مجالاً للرغبات ، فهي التي تعطي مادة للغضب ، وهذا يعكّر بصيرة الذهن ويبيد حالة الصلاة .

٢٨ ـ لا تصلِّ فقط بالحركات الخارجية ، بل ادفع ذهنك الى الإحساس بالصلاة الروحية ، بخوف عظيم .

٢٩ ـ أحياناً ، ما أن تبتدىء بالصلاة حتى تأتيها جيّدة ، وأحياناً اخرى بالعكس ، رغم جهود عظيمة ، لن تبلغ الهدف ، هذا كي تضاعف سعيك ، حتى إذا ما حصلت على النتيجة تقتنيها مصانة من اللصوص .[1]

٣٠ ـ عندما يَقدم ملاك ، يتوارى للحال كل الشياطين المبين لنا الغَم ، ويصير الذهن في راحة كبيرة ، حيث يصلّي بنشاط . أحياناً ، بالعكس ، تحصرنا الحرب اليومية ، فيتخبط

(١) اللص الأخير هو الكبرياء الذي يؤكد لنا اننا قد غلبنا بقوتنا .

الذهن ولا يستطيع أن يرفع نظره . ذلك لأنه قد تأثر بأهواء متنوعة ؛ إلاّ انه اذا استمر في الطلب وجد ، وإذا قرع بقوة فُتح له .

٣١ ـ لا تصلِّ لتحقيق رغباتك ؛ لأنها لا تتفق بالضرورة و إرادة اللّه . لكن بالحري صلِّ كما تعلّمنا قائلاً : لتكن مشيئتك في[١] ؛ وهكذا في كل شيء اسأله أن تكون مشيئته ، لأنه هو يريد خير نفسك ومنفعتها ، أمّا أنت فإنك لا تطلب ذلك بالضرورة .

٣٢ ـ كثيراً ما طلبت ، في صلواتي ، تحقيق ما اعتقدته صالحاً لي ، وكنت ألجّ في طلبي مقاوماً بجهل إرادة اللّه ، غير مسلّم لعنايته الإلهية كي يأمر هو بالحري بما يعرفه نافعاً لي ؛ بيد انه ، بعدما نلت مطلبي ، كانت خيبتي عظيمة لتفضيلي تحقيق مشيئتي ، لأن الأمر استبان في الواقع على غير ما كنت أتصوّره .

٣٣ ـ ما الذي هو صالح إلاّ اللّه ؟ فلنسلّم إليه بالتالي كل أمرنا ، فنكون في خير . الصالح جوّاد ، لزاماً ، بالعطايا الصالحة أيضاً .

٣٤ ـ لا تحزن إذا لم تنل في الحال ما طلبت من اللّه ، فإنه يريد الإحسان إليك أكثر بمواظبتك على البقاء معه في الصلاة .

---

(١) متى ٦ : ١٠

وهل أسمى من التحدث الى الله ، والاستغراق في عشرة صميمة معه ؟؟

٣٤ ـ مكرر ـ الصلاة الخالية من الشرود[١] هي أرقى أعمال العقل ![٢]

٣٥ ـ الصلاة هي ارتقاء الذهن[٣] نحو الله !

٣٦ ـ إذا كنت تطمع في الصلاة ، إزهد في كل شيء لتحصل على الكل .

٣٧ ـ تضرّع اولاً لتطهر من الأهواء ، ثانياً للتخلص من الجهل ، ثالثاً لتنقذ من كل تجربة وتخلّ.[٤]

٣٨ ـ في صلاتك أطلب فقط البرّ والملكوت ، أعني الفضيلة والمعرفة ، والباقي كله يزاد لك.[٥]

٣٩ ـ حسن أن تتوسّل لا من أجل تطهيرك أنت فقط ، بل أيضاً من أجل كل بني جنسك ، مقتدياً في ذلك بالسيرة الملائكية .

---

(١) أو الصلاة « المستغرقة » .

(٢) الرقم ٣٤ مكرر لأن هناك نصين مختلفين لهذا الفصل .

(٣) أو الروح ، الجزء الأسمى في كياننا .

(٤) بعد مرحلتي جهاد الأهواء وبلوغ المعرفة الالهية ، تبقى حالة الكمال (المرحلة الأخيرة) معرّضة لتجربة الكبرياء التي يتخلّى الله بسببها عنّا .

(٥) متى ٦ : ٣٣ .

٤٠ ـ أنظر إن كنت حقيقة حاضراً أمام اللّه في صلاتك ، أم مغلوباً لمديح الناس ومدفوعاً برغبة اقتناصه ، مستغلاً طول صلاتك .

٤١ ـ إن صلّيت مع إخوة أو بمفردك اجتهد ان تصلّي بإحساس وليس على سبيل العادة .

٤٢ ـ خاصّةُ الصلاة خشوع[1] متهيّب مصحوب بنخس الندامة ، ووجع النفس المعترفة بخطاياها بأنّات خفيّة .

٤٣ ـ إن كان ذهنك لا يزال يشرد وقت الصلاة ، فهذا لأنه لا يصلّي بعد كراهب[2] ، لكن لا يزال من العالم ، منشغلاً بتزيين الخيمة الخارجية .

٤٤ ـ متى صلّيت ، اسهر على ذاكرتك كل السهر ، لكيما ، عوض أن تورد لك ذكرياتها (الأهوائية) تحملك على وعي صلاتك ، لأن للذهن ميلاً شديداً ان يُسلب بالذاركة أثناء الصلاة .

٤٥ ـ عندما تصلّي تحضر لك الذاكرة صور الماضي ، أو هموماً جديدة ، أو وجه من أحزنك .

---

(١) و وقار .

(٢) يحثنا إفاغريوس في موضع آخر على أن نتقدم إلى محكمة المسيح لا « المرء الراهب » بل « الذهن الراهب » لأن المرء الراهب يتجنب الخطيئة الفعلية فقط أما الذهن الراهب فيتجنب الخطيئة الفكرية ويعاين نور الثالوث الأقدس وقت الصلاة .

٤٦ ـ يحسد الشيطان كثيراً من يصلّي ، ويستخدم كافة الوسائل لإحباط مسعاه ، لذا فهو لا يكف عن إضرام تفكيره بالأشياء بواسطة الذاكرة ، وإيقاظ كل الأهواء فيه بواسطة الجسد كي يتوصّل الى إيقاف سيره الجميل وانطلاقه نحو الله .

٤٧ ـ عندما لا ينجح الشيطان الخبيث ، بعد استخدامه الكثير من التجارب ، في إيقاف صلاة المصلّي بحرارة ، ينسحب الى حين ؛ لكنه ينتقم منه عند نهاية الصلاة ؛ وذلك إمّا بإشعاله بالغضب لتقويض الحالة الفضلى التي أوصلته إليها الصلاة ، او باثارة لذة حسّية فيه ، إساءةً لذهنه .

٤٨ ـ بعد صلاة موافقة توقعْ ما لا يوافق[١] ؛ قف بعزم[٢] لتحفظ ثمرة صلاتك ، فهذا ما رُسم لك منذ البدء : أن تعمل وتحفظ[٣] . فبعد أن تعمل لا تترك عملك دون حراسة ؛ وإلاّ لا تكون صلاتك قد أفادتك بشيء .

٤٩ ـ كلّ الحرب التي تخوضها الأرواح الدنسة ضدنا تستهدف الصلاة الروحية وحسب . لأنها لهم خصم بغيض ، أمّا لنا فمصدر خلاص وفرح .

٥٠ ـ ماذا يعني للشياطين حثّنا على الشراهة ، والزنى ، والطمع ، والغضب ، والضغينة ، وغيرها من الأهواء ؟ هذا كيما

---

(١) يعني التجارب .
(٢) او بثبات ، برجولة .
(٣) تكوين ٢ : ١٥ .

يتعذر على ذهننا ، المثقل بها ، الصلاة كما يجب ، لأن الأهواء اللامعقولة ، إذ تتسلط على الذهن ، لا تسمح له بأن يتحرك وفق العقل ويسعى لإدراك كلمة الله .

٥١ ـ نسعى الى الفضائل من أجل رؤية « غاية » الكائنات[1] والى هذه من أجل السيد الذي أنشأها ؛ أمّا هو فمن عادته الظهور في حالة الصلاة .

٥٢ ـ حالة الصلاة حالة ثابتة مجردة من الإنفعالات ، تختطف الذهن الروحاني عاشق الحكمة الى القمم العقلية ، بواسطة حب مطلق .

٥٣ ـ كل من تاق أن يصلّي حقيقة يجب لا ان يسود على الغضب والشهوة وحسب بل أن ينزع عنه أيضاً كل فكرة فيها هوى .

٥٤ ـ من يحب الله . يتحدث معه دائماً كمع أب ، متجرداً من كل فكر هوى .

٥٥ ـ ليس كوننا بلغنا اللاهوى كافياً لنصلّي حقيقة ، إذ يمكننا التوقف عند الأفكار البسيطة ، وانشغالنا بالتأمل فيها ، فنكون بهذا بعيدين عن اللّه .

---

(١) المقصود بغاية الكائنات جوهرها ـ « كلمتها » ـ التي أساسها ومحورها المسيح « كلمة » الله . فعندما تغشي الأهواء الذهن لا تسمح له أن يحيا وفق العقل ويرى كلمة الله بالصلاة (أنظر الفصل السابق عدد ٥٠) .

٥٦ ـ حتى إذا لم يتلهّ الذهن في الأفكار البسيطة ، لا يكون بعد ، بهذا ، قد توصّل الى مكان الصلاة ؛ إذ يمكنه أن يكون في تأمل الأشياء منشغلاً بغاياتها الأخيرة التي ـ بالرغم من كونها تعابير بسيطة ، إلاّ أنها لكونها تطلعاً في الأشياء ـ تطبع في الذهن صوراً ، وتبعده عن اللّه .

٥٧ ـ حتى إذا ارتفع الذهن فوق تأمل الطبيعة المادية ، ليس له بعد الرؤ ية التامة لمكان[1] اللّه ، إذ يمكن أن يكون عند معرفة المعقولات (اللامادية) يشارك في تعددها وتشتيتها .

٥٨ ـ إذا رغبت ان تصلّي ، فأنت تحتاج الى اللّه الذي يهب الصلاة للمصلّي ، فادعه إذن قائلا : ليتقدس إسمك ، ليأت ملكوتك ، اي الروح القدس وابنك الوحيد ؛ لأن هذا هو تعليمه ، عندما يقول بعبادة الآب « بالروح والحق .[2]

٥٩ ـ الذي يصلّي بالروح والحق لا يعود يستمد من المخلوقات المدائح التي يقدمها للخالق ، لكن من اللّه ذاته يمجد اللّه .

٦٠ ـ إذا كنت لاهوتياً ، ستصلّي حقاً ؛ وإذا صلّيت حقاً ، فأنت لاهوتيّ .

---

(١) لا بالمعنى المادي للكلمة .
(٢) يوحنا ٤ : ٢٤ .

٦١ ـ عندما يبتدىء ذهنك ، في حب مضطرم للّه ، بالخروج تدريجياً من الجسد ، إذا جاز القول ، وبإبعاد كل الأفكار التي تأتي من الحواس أو الذاكرة أو المزاج ، ممتلئاً في الوقت ذاته بالخشوع والفرح ، عندئذ يمكنك اعتبار نفسك قريباً من حدود الصلاة .

٦٢ ـ الروح القدس ، إذ يرأف بضعفنا ، يزورنا حتى ونحن غير مطهرين ؛ فقط بشرط أن يجد ذهننا مصلّياً برغبة الصلاة الحقة هو يحل فيه ويبدد كل كتائب الأفكار والهواجس التي تحاصره ، ويحمله الى محبة الصلاة الروحية (أو الى أعمالها) .

٦٣ ـ في حين ان الآخرين[1] يستخدمون تأثرات الجسد[2] ليوردوا الى الذهن أفكاراً وتصورات واعتبارات ، الرب بالعكس يحل في الذهن مباشرة واضعاً فيه المعرفة كما يشاء ؛ وبواسطة الذهن يهدّىء انفعال الجسد .

٦٤ ـ كل من يتوق الى الصلاة الحقيقية ويغضب أو يحقد يقيم الدليل على اختلال عقلي : إنه يشبه امرؤاً يريد أن يكون ذا نظر ثاقب ، ويقلع عينيه .

---

(١) بصورة عامة : أي الناس والشياطين .

(٢) لا يعرف الشياطين أفكارنا مباشرة بل يستنتجونها من حركات الجسد وانفعالاته .

٦٥ ـ إذا توخيت الصلاة ، لا تأتِ أي عمل يتنافى وإياها[١] لكي يقرب الله ويسير معك .

٦٦ ـ إذا صلّيت ، لا تتصوّر شيئاً ، ولا تدع ذهنك يوسم بأي شكل ، لكن اذهب لاهيولياً الى اللاهيولي ، وستفقه .[٢]

٦٧ ـ إحذر فخاخ الأعداء : إذ يحصل أنه عندما تصلّي بنقاوة وصفاء تداهمك فجأة صورة مجهولة منك وغريبة ، لتحملك إلى الإدعاء بتحديد الله فيها ، واعتبار الله هذا الشيء الكمّي الذي ظهر أمامك فجأة في حين أنه لا شكل ولا كمّية في الله .

٦٨ ـ عندما يعجز الشيطان الحسود عن تحريك الذاكرة أثناء الصلاة ، يعمد الى الضغط على مزاج الجسم ، ليحدث في الذهن شبحاً مجهولاً ، وبذا يقدم له شكلاً . عندئذٍ يُقهر الذهن بسهولة لأنه معتاد على البقاء في صعيد الصور والمفاهيم ، وإن كان يرمي الى المعرفة المجردة من أية مادة أو صورة ، ينخدع باحتسابه الدخان نوراً .

٦٩ ـ احترس ، حوطاً ذهنك من كل الأفكار وقت الصلاة ، لكي يثبت في السكون الذي هو من خواصه[٣] ؛ إذ ذاك

---

(١) لا نصل الى الصلاة والاتحاد بالله إلا عن طريق الأعمال الصالحة .

(٢) أي ستبلغ الى الصلاة .

(٣) وهو غير السكون الغاش الناجم عن انسحاب الشياطين . السكون الأول يصحبه اتضاع وانسحاق قلب بدموع ومحبة عظيمة لله واندفاع للعمل لا حد له .

الرب الذي يرأف بالجهلة يحل عليك أيضاً ، فتنال نعمة صلاة مجيدة جداً .

٧٠ ـ لن تستطيع اقتناء الصلاة النقية إذا كنت مرتبكاً بأمور مادية ومضطرباً لهموم مستمرة ، فالصلاة هي طرح الأفكار .

٧١ ـ لا يمكننا الركض ونحن مكبّلون ، كذلك لا يمكن الذهن رؤية مكان الصلاة الروحية وهو خاضع للأهواء ، لأنه يكون مجتذباً هنا وهناك بفعل فكر الهوى ولا يستطيع الثبوت .

٧٢ ـ متى بلغ الذهن الصلاة النقية الحقيقية ، لا تأتيه الشياطين بعد من اليسار بل من اليمين . إنها تورد له تخيّلاً خادعاً عن اللّه في صورة ما ، تستلذها الحواس ، يعتقد معها بأنه قد حصل تماماً على غاية الصلاة في حين ان هذا ـ على قول أحد العارفين العظام ـ هو عمل هوى المجد الباطل ، عمل شيطان تختلج عروق الدماغ للمساته .

٧٣ ـ أعتقد أن الشيطان يلمس المكان المشار اليه ويحرك النور حول الذهن وفقاً لمآربه . وبهذا يوغل هوى المجد الباطل في تفكير يدفع الذهن الى ان يحدد عن طيش وغباوة مكاناً للمعرفة الإلهية الجوهرية . وبما انه ـ في المرحلة التي وصل اليها ـ لا تعود الأهواء الجسدية والدنسة تهاجمه ، لكنه يصلّي حقاً بنقاوة ، يظن ان العدو لا يعود يعمل فيه البتة . ومن هنا يحمل على الإعتقاد بإنها

إلهية تلك الرؤ يا الحاصلة داخله من الشيطان ، بتلك الحيلة المخيفة وهي كما قلنا إحداث تفاعلات عن طريق الدماغ ، في النور الذي حوله ، وبذلك تقديم صورة الى الذهن .

٧٤ ـ وإذا ما أتى ملاك الله فهو يطرد بكلمة واحدة كل فعل العدو من داخلنا ، ويعيد ضياء الذهن الى نشاط خال من الزيغان .

٧٥ ـ عندما يتحدث كتاب الرؤ يا عن الملاك الذي يأخذ بخوراً ليقدمه مع صلوات القديسين[١] ، أعتقد أنه يتحدث عن هذه النعمة التي يتممها الملاك ؛ فهو يعطي بالفعل معرفة الصلاة الحقة ، بحيث أن الذهن يبقى ثابتاً دون ارتخاء أو ضجر .

٧٦ ـ يقول الكتاب[٢] ان عطور[٣] الجامات هي صلوات القديسين التي يقدمها الأربعة والعشرون شيخاً .[٤]

٧٧ ـ بالجام يجب ان نفهم محبة القديسين لله ، أعني القداسة الكاملة الروحية ، التي تنتقل الصلاة فيها الى الفعل ، بالروح والحق .

٧٨ ـ إذا بدا لك أنك لم تعد بحاجة الى الدموع في

---

(١) ٨ : ٣ .

(٢) الرؤ يا ٥ : ٨ .

(٣) او بخور .

(٤) « الشيخ » او « الكاهن » بالمعنى الروحي : أي القديم أو المتقدم بالفضيلة والصلاة الحقة ، « اللاهوتي » الذي يعاين الله .

صلاتك من أجل خطاياك ، فانظر كم أنت ابتعدت عن الله ، بينما كان الأولى بك ان تكون فيه دون انقطاع ، وإذ ذاك تبكي بأشد حرارة .

٧٩ ـ لا شك انه إذا وعيت قدرك ، هانت عليك الندامة : فتحسب نفسك شقياً كأشعياء[١] ، لأنك وانت دنس وذو شفتين دنستين ، وسط مثل هذا الشعب ، أعني شعباً عدواً ، تتجرأ على المثول أمام رب الجنود .

٨٠ ـ إن صلّيت حقاً تنل يقيناً[٢] عظيماً ؛ وتواكبك الملائكة مثل دانيال وتنيرك لتفهم غاية الكائنات .

٨١ ـ إعلم ان الملائكة القديسين يدفعوننا الى الصلاة . ويقفون إذ ذاك الى جانبنا فرحين مصلّين من أجلنا . فإذا تكاسلنا متقبلين افكاراً غريبة نغيظهم كثيراً ، لأننا ، بينما هم يحاربون عنّا بهذه القوة ، لا نريد نحن حتى التضرع الى الله من أجل أنفسنا ، بل نعرض عن خدماتهم ونبتعد عن الرب إلههم لنذهب الى الشياطين الأدناس .

٨٢ ـ صلِّ كما يجب دون اضطراب ، وسبّح[٣] بفهم وانسجام ، فتكون كفرخ النسر المحلّق في الأعالي .

---

(١) أشعياء ٦ : ٥ .
(٢) أي ثقة ودالة .
(٣) رتل المزامير .

٨٣ ـ التسبيح يطرح الأهواء ويهدّىء نزوات الجسم ؛ والذهن بالصلاة يمارس نشاطه الخاص .[١]

٨٤ ـ الصلاة هي النشاط الذي يليق بكرامة العقل[٢] ، وبعبارة أخرى ، هي عمله الأفضل والأكثر تلاؤماً .

٨٥ ـ التسبيح هو من الحكمة المتعدّدة الوجوه ؛ أمّا الصلاة فهي فاتحة المعرفة اللامادية والبسيطة .

٨٦ ـ المعرفة سامية جداً ؛ لأنها تؤازر الصلاة بإيقاظها قوة الذهن الى التأمل بالإلهيات .[٣]

٨٧ ـ إذا لم تنل بعد موهبة الصلاة او التسبيح كن لجوجاً فتنل .

٨٨ ـ وقال لهم أيضاً مثلاً في انه ينبغي أن يصلّوا دائماً ولا يملّوا[٤] ، إذن لا تملّ من الانتظار ولا تيأس لعدم نوالك ، لأنك ستنال فيما بعد . وختم المثل هكذا : « وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً فأني لأجل ان ... رملة تزعجني أنصفها » . هكذا ينصف الله الصارخين إليه نهاراً وليلاً وينصفهم سريعاً . تشجع إذن واثبت بـ ... ة في الصلاة المقدسة .

(١) عمله الطبيعي .
(٢) كرامة العقل ـ بمعنى الذهن أو الروح ـ هي قدرته على معاينة ... ، وهي كرامة فريدة في المخلوقات .
(٣) اي المعرفة الالهية .
(٤) لوقا ١٨ : ١ ـ ٢ .

٨٩ ـ لا تطلب تدبير أمورك وفق أرائك بل وفق مسرّة اللّه ، فتصبح بلا اضطراب وشاكراً في صلاتك .

٩٠ ـ حتى إذا بدا لك أنك متحد باللّه ، احترس من شيطان الدنس[١] ، لأنه مخادع كبير وحسود جداً . يحاول أن يكون أسرع من حركة يقظة عقلك حتى انه يجرّه بعيداً عن اللّه إبان وقوفه بقربه بخوف وورع .

٩١ ـ إذا أكببت على الصلاة ، هيّء نفسك لهجمات الشياطين ، وتحمّل بشجاعة ضرباتهم ،لأنهم سيشبّون عليك كالوحوش الضارية ويعنفون كل جسدك .

٩٢ ـ خذ استعداداتك مثل مصارع ذي خبرة ، كيلا تلين ولو شاهدت فجأةً طيفاً ، وكيلا تضطرب ، حتى لمرأى سيف مستلٍ تجاهك او برق منفجر في وجهك ، وكيلا تنهار شجاعتك قط ، حتى أمام شبح قبيح ودام ؛ لكن اثبت ، وتابع اعترافك المقدس[٢] وسوف تتحمل بيسر رؤية أعدائك .

٩٣ ـ من يصبر على المحنة ينل التعزية ، ومن يثبت في المكاره لن تفوته المرضيات .

٩٤ ـ احترس من ان يخدعك الشياطين الخبثاء ببعض الرؤى ؛ لكن كن منتبهاً ، إلجأ الى الصلاة وادع اللّه ، كيما ، إذا

(١) الزنا .
(٢) أي شهادتك .

كانت هذه الرؤ يا منه ، ينيرك هو ؛ وإلاّ لكيما يسرع ويطرد المضلل منك . ثق : ان الكلاب[1] لن تستطيع الصمود ؛ إذا استسلمت لابتهال حار ، فإن قوة اللّه ستضربها وتطردها بعيداً ، دون تأخر ، بصورة غير منظورة وبدون أن تظهر ذاتها .

٩٥ ـ حسن ألا تجهل أيضاً الخديعة التالية : في بعض الأحيان ينقسم الشياطين الى فئتين ، وإذا بدوت مستغيثاً (ضد فئة منهم)، يفد الآخرون بشكل ملائكة ويطاردون الأوّلين : هذا ليختلط عليك الأمر وتحسبهم حقيقة من الملائكة القديسين .[2]

٩٦ ـ اجتهد في أن تقتني اتضاعاً عميقاً وشجاعة كبيرة ولن تمس نفسك قذفات الشياطين ، ولن تدنو ضربة من مسكنك لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك[3] وسيطرد الملائكة بعيداً عنك ، خفية ، كل إغارات الأعداء .

٩٧ ـ من يتفرغ للصلاة النقية سيسمع جلبة وضجيجاً ، أصواتاً وإهانات ، لكنه لن ينها ولن يفقد أعصابه ، قائلاً للّه : لست اخشى شراً لأنك انت معي[4] وأقوالا اخرى مشابهة .

٩٨ ـ إبان تحارب من هذا النوع ، استعمل صلاة قصيرة

---

(١) أي الشياطين .
(٢) فتسقط في المجد الباطل .
(٣) المزامير ٩٠ : ١١ .
(٤) المزامير ٢٢ : ٤ .

وعنيفة (شديدة ، حارة) .[1]

٩٩ ـ إذا هدّدك الشياطين بالظهور لك فجأة في الهواء وبطرحك أرضاً وسلب عقلك ، لا تهلع ؛ لا تعر هذه التهديدات أي انتباه . إنهم يفزعونك ليروا إن كنت حقيقة تهتم لهم ، أم إنك توصّلت لازدرائهم كلياً .

١٠٠ ـ إذا كنت تصلّي في حضرة اللّه ، الكليّ القدرة ، الخالق والمعتني بالكل ، لماذا تورد الى هذه الحضرة حماقة نسيان مخافته الكلية لتخشى من بعض بعوض وصراصير ؟؟ او لم تسمع القائل : الرب إلهك تتقي[2] ، وأيضاً « هو الذي أمام قدرته كل شيء يرتعد ويرتعب » .[3]

١٠١ ـ كما أن الخبز هو غذاء للجسد ، كذلك الفضيلة هي للنفس ، والصلاة الروحية للذهن .

١٠٢ ـ صلِّ لا كالفريسي بل كالعشار ، في مكان الصلاة المقدس ، لتكون أنت أيضاً مبرراً من الرب .

١٠٣ ـ انتبه كثيراً كيلا تتضرع ضد أحد في صلاتك : فهذا يقوّض ما تسعى لبنيانه ويجعل صلاتك مرذولة .[4]

---

(١) بالجاح وبالسخط على الشياطين .
(٢) تثنية ١٠ : ٢٠ .
(٣) ابن سيراخ ١٦ : ١٩ .
(٤) وممقوتة .

١٠٤ ـ خذ عبرة من المدين بعشرة آلاف وزنة : إن لم تترك لمدينك ما لك عليه لن تحصل أنت أيضاً على الغفران ، لأنه مكتوب : أسلمه الى المعذّبين.[١]

١٠٥ ـ لا تلتفت الى متطلبات الجسد حين تصلّي ، لئلا ، بسبب عضة نملة او برغوت او بعوضة او ذبابة ، تخسر أفضل فوائد الصلاة .

١٠٦ ـ أُخبرنا ان الشرير شنَّ حرباً ضروساً على رجل قديس اثناء صلاته ، فما ان كان يرفع كفّيه للصلاة ، حتى يتخذ العدو هيئة أسد ، ويرفع يديه عليه ، ناشباً أظافره في خدّيه ولا يتركه حتى يُنزل كفّيه . أمّا المصلّي البطل فلم يكن ينزلهما أبداً ما لم يأتِ على نهاية صلواته المعتادة .

١٠٧ ـ هكذا سلك أيضاً ، كما نعلم يقيناً ، يوحنا الصغير ـ بل الراهب الكبير ـ الذي عاش متوحداً في حفرة : فقد بقي ثابتاً ، نتيجة اتحاده الصميم باللّه ، بينما التف الشيطان حول جسمه بشكل تنّين ، عاركاً جسده ومتقيئاً بوجهه .

١٠٨ ـ لا بدّ انك قرأت أيضاً سيرة رهبان صحراء طبانسين[٢] حيث روي انه بينما كان الأنبا تيودورس يلقي كلمة في الاخوة ، جاء افعوان تحت قدميه ؛ لكنه دون ان يضرب قوّس

---

(٢) متى ١٨ : ٢٤ ـ ٣٥ .
(١) في مصر العليا .

ساقيه ليفسح لهما مكاناً الى ان انهى حديثه ؛ إذ ذاك أراهما للإخوة واخبرهم عمّا حدث .

١٠٩ ـ وقرأنا ايضاً عن أخ روحي آخر ، ان أفعى لسعته في قدمه ، بينما كان يصلّي . ومع هذا لم يخفض ذراعيه حتى انهى صلاته المعتادة ، ولم يصبه أي اذى كونه أحب اللّه اكثر من ذاته .

١١٠ ـ احفظ نظرك منخفضاً أثناء الصلاة ؛ انكر جسدك ونفسك ، وعش وفق الروح .[١]

١١١ ـ قديس اخر متوحد في الصحراء ، مصلّياً بشجاعة ، هاجمه الشياطين وصاروا زهاء اسبوعين يتقاذفونه ككرة ويرشقونه في الهواء ويتلقونه على حصيرة . ولكنهم لم يوفّقوا لحظة بإحدار ذهنه من صلاته الملتهبة .

١١٢ ـ وآخر أيضاً مملوء حباً لله وحميّة للصلاة كان يسير في الصحراء ، فجاءه ملاكان ورافقاه الواحد عن يمينه والآخر عن يساره ، ولكنه لم يلتفت اليهما لئلا يفقد ما هو أفضل . لأنه تذكر قول الرسول : لا الملائكة ولا الرئاسات ولا القوات تقدر أن تفصلنا عن محبة المسيح.[٢]

---

(١) نعود فنصادف هنا التقسيم الثلاثي : الجسد والنفس والذهن (او الروح) .
(٢) رومية ٨ : ٣٨ .

١١٣ ـ بالصلاة الحقة يصبح الراهب مساوياً للملائكة[١] .

١١٤ ـ إن رغبت في معاينة وجه الآب الذي في السماوات ، لا تطلبنّ أبداً رؤية شكل أو صورة اثناء الصلاة .

١١٥ ـ لا تشتهِ أن تشاهد حسّياً لا ملائكة ، ولا قوات ، ولا المسيح ، كيلا تفقد عقلك كلياً ، بتقبلك الذئب بدل الراعي وسجودك للشياطين الأعداء .

١١٦ ـ المجد الباطل هو علّة هذه التصوّرات الخادعة ، فهو يدفع الذهن الى محاولة حصر الألوهية في صور وأشكال .

١١٧ ـ أمّا أنا فسأقول فكرة لي ، سبق ان قلتها في موضع آخر : مغبوط الذهن الذي بلغ الى التحرر من كل تحديد[٢] أثناء الصلاة .

١١٨ ـ مغبوط الذهن الذي ، في صلاة خالية من التشتيت ، يحصل دائماً على مزيد من الحب للّه .

١١٩ ـ مغبوط هو الذهن الذي ، إبان الصلاة ، يصبح مجرداً من المادة وعارياً من كل شيء .

---

(١) يعيش مثلهم « وفق الروح » (انظر الفصل ١١٠) .

(٢) أي إلى التحرر من كل انطباع حسّي ، الى « العري » من كل شكل وصورة ، الى « الجهل » اللامحدود .

١٢٠ ـ مغبوط هو الذهن الذي ، اثناء الصلاة ، يحصل على فقدان حس كامل .[١]

١٢١ ـ مغبوط هو الراهب الذي يعدّ ذاته حثالة الجميع .

١٢٢ ـ مغبوط هو الراهب الذي يحسب خلاص الجميع و تقدّمهم كخلاصه هو ، بكل فرح .

١٢٣ ـ مغبوط هو الراهب الذي يعتبر جميع الناس ـ بعد اللّه ـ اللّه .

١٢٤ ـ راهب هو من انفصل عن الكل واتحد بالجميع .

١٢٥ ـ راهب هو من عدّ نفسه واحداً مع الجميع ، كونه يرى نفسه في كل واحد .

١٢٦ ـ يذهب بالصلاة الى كمالها من يستمر للّه على الدوام كل حالة ذهنه الأصلية .[٢]

١٢٧ ـ إذا رغبت في الصلاة كراهب ، تجنّب كل خداع وقسم ، وإلاّ عبثاً تتزيا بما لا ينطبق عليك .

١٢٨ ـ إذا أردت الحصول على الصلاة الروحية ، لا تكره

(١) الاحساس الروحي يتنبه بقدر إماتة الاحساس الأدنى .
(٢) حالة الذهن الأولى هي تأمل الله ، فينبغي أن نعود اليها قدر الإمكان .

أحداً[1] فلا تأتيك الغمامة التي تظلم بصيرتك اثناء الصلاة .

١٢٩ ـ سلّمْ للّه حاجات الجسد فتوضح بذلك انك تسلّم أيضاً حاجات الروح إليه .

١٣٠ ـ إذا نلت المواعيد ، ستصبح ملكاً ، إشخص إذن نحوها ، فتحتمل الفقر الحالي بفرح .

١٣١ ـ لا ترفض الفقر والضيق ، غذاءَي الصلاة المحررة من كل ثقل .

١٣٢ ـ لتكن فضائل الجسد منطلقاً لك لنوال فضائل النفس ، وفضائل النفس منطلقاً لفضائل الروح ، وهذه للمعرفة اللامادية الجوهرية .[2]

١٣٣ ـ عندما تصلّي لصد الأفكار (الشريرة) ، وتنهزم هذه بسهولة ، إفحص لماذا حصل هذا ؛ لئلا تقع في كمين وتنخدع من حيث لا تدري .

١٣٤ ـ يحصل ان يوحي لك الشياطين بأفكار ، ومن جهة أخرى يحثّونك ، في الوقت ذاته ، على الصلاة ضدهم او على مجاوبتهم ، وبعدها ينسحبون من تلقاء ذواتهم . هذا لتنغر

---

(١) في نص الباترولوغيا اليونانية : « لا تنهل من الجسد » .
(٢) معرفة الله والثالوث الأقدس .

أنت ، مخدوعاً ، متخيّلاً انك ابتدأت تتغلّب على الأفكار وتهزم الشياطين .

١٣٥ - إذا صلّيت ضد هوى او ضد شيطان لجوج ، تذكر القائل : سأقتفي أعدائي فأدركهم ، ولا أرجعنّ حتى أفنيهم ، أحطمهم فلا يستطيعون وقوفاً ، وتحت رجلي يسقطون . . . الخ .[١] هذا ما يجدر بك قوله، لتتسلّح بالاتضاع تجاه الخصوم.

١٣٦ - لا تظن انك اقتنيت الفضيلة ، ما دمت لم تجاهد في سبيلها حتى الدم ، إذ يجب مقاومة الخطيئة حتى الموت حسب قول الرسول الإلهي ، كمصارع بلا لوم .[٢]

١٣٧ - سيحدث لك أحياناً ان تفيد أحداً فيأتي آخر ويؤذيك ، كيما تقول او تفعل ، مدفوعاً بشعورك بالظلم ، شيئاً مؤسفاً ضد القريب ؛ وهكذا تبدد بتعاسة ما كنت جمعته بصورة حميدة . هذا هو بالضبط هدف الشياطين الأشرار ولذا ينبغي الاحتراس جداً .

١٣٨ - تلقَّ دائماً هجمات الشياطين مفكراً بسبل التخلّص من عبوديتهم .

١٣٩ - في الليل ، يطلب الشياطين المعلّم الروحي ليغربلوه

(١) مزامير ١٧ : ٣٧ - ٣٨ .
(٢) عبرانيين ١٢ : ٣ - ٤ .

بذاتهم [١] ، وفي النهار يستخدمون الناس ليحيطوه بضروب المعاكسات والافتراءات والأخطار .

١٤٠ ـ لا ترد القصارين [٢] إذا دقوا بأرجلهم وشدّوا المنجدة فبهذا العمل تصبح حلّتك ناصعة البياض . [٣]

١٤١ ـ ما دمت لم تعفّ عن الأهواء كلياً ، بل يعارض عقلك الحق ، لن تجد في حجرك العطر الذكي الرائحة . [٤]

١٤٢ ـ أتبتغي الصلاة ؟ اهجر هذا العالم [٥] واتخذ مسكنك في السماء في كل وقت [٦] ، ليس بمجرد الكلام (أو بالعقل) ، لكن بالعمل الملائكي والعلم الإلهي . [٧]

١٤٣ ـ إذا كنت في المحن فقط تتذكر الديّان وكم هو رهيب ولا يُرشى فأنت لم تتعلّم بعد ان تعبد الرب بخشية وتهلل له برعدة . [٨] فاعلم جيداً انه حتى في أوقات الراحة والتعزية [٩] ، ينبغي بالأكثر ان تعبده باتقاء وورع .

١٤٤ ـ فطنٌ هو الإنسان الذي ، حتى التوبة الكاملة ، لا يفارق ذكر خطاياه المؤلم ، وعقاب النار الأبدية .

---

(١) لوقا ٢٢ : ٣١ .

(٢) يعني الشياطين .

(٣) كما يمتحن الذهب والفضة بالنار كذلك يمتحن قلب الراهب بالتجارب .

(٤) انظر الفصل الأول .

(٥) بالذهن .

(٦) فيليبي ٣ : ٢٠ .

(٧) أي بالتأمل والمعرفة الالهيين .

(٨) مزامير ٢ : ١١ .

(٩) بمناسبة الأعياد مثلا .

١٤٥ ـ الذي لا يزال معاقاً بخطايا وبفورات من الغضب ، ويجرؤ بوقاحة على ممارسة التأمل المقدس ، او حتى على ولوج الصلاة اللامادية ، فلنوجه له تأنيب الرسول لنفهمه بأنه خطر عليه ان يصلّي برأس عار ومكشوف ، لأنه يقول : « مثل هذه النفس يجب ان يكون لها على رأسها سلطان من أجل الملائكة الحاضرين »[١] متوشحة بالاحتشام والاتضاع اللائقين .

١٤٦ ـ كما أن مريض العينين لا ينفعه التحديق بإصرار ، دونما وشاح ، بشمس الظهيرة في أوج لهيبها ، كذلك لا يفيد مطلقاً الفكر الدنس المتأثر بالأهواء تكلف الصلاة الفائقة الرهيبة بالروح والحق ، بل بالعكس تماماً ، فهو يثير عليه غضب الله .

١٤٧ ـ إذا كان السيد ،الذي لا يرتشي ولا يحتاج لشيء ، لم يتقبل من جاء بالقربان الى المذبح ، إلى أن اصطلح مع قريبه الذي أحزن[٢] ، فتأمل أي احتراس واي تمييز يتوجبان لتقديم بخور مرضيّ لله على المذبح اللامادي .

١٤٨ ـ لا تكن مهذاراً[٣] ولا متفاخراً ، وإلاّ ، ليس على ظهرك يحرث الخطأة بل على جبينك[٤] . ستكون لهم ألهية وقت

---

(١) ١ كورنثوس ١١ : ١٠ .
(٢) انظر متى ٥ : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) او كثير الكلام
(٤) مزامير ١٢٣ : ٣ .

الصلاة ، وسيصطادونك[1] ويحملونك الى أفكار منحرفة ومتفرقة .

١٤٩ ـ الانتباه الذي يبحث عن الصلاة يجدها ، لأنه إن كان شيء ما تعقبه الصلاة ، فهو الانتباه ، فينبغي إذاً الانكباب عليه .[2]

١٥٠ ـ كما أن النظر هو أفضل الحواس ، كذلك الصلاة إلهية أكثر من كل الفضائل .[3]

١٥١ ـ ليست جودة الصلاة في الكمية ، بل في النوعية ، هذا ما يثبته اللذان صعدا إلى الهيكل ، وأيضاً هذا القول : أنتم متى صلّيتم ، لا تكثروا الكلام باطلاً . . إلى آخر القول .[4]

١٥٢ ـ ما دمت تهتم بما للجسد[5] ، وما دام عقلك يقيم وزناً للكياسة الخارجية ، لم تعاين بعد مكان الصلاة ، بل أنت بعيد عن الطريق المغبوط الذي يقود إليه .

١٥٣ ـ لأنه عندما ستسمع في صلاتك فوق كل الأفراح الأخرى[6] تكون ، في النهاية ، قد وجدت الصلاة حقاً .

---

(١) أو يجتذبونك بطعم الأفكار غير النقية .

(٢) « الانتباه » هنا لا يخلو من معنى الجهاد السكي لمحاربة الخطيئة أيضاً .

(٣) بالصلاة الذهن النقي يعاين الله مباشرة ولذلك فهي « إلهية » بكل معنى الكلمة وتؤله الانسان .

(٤) متى ٦ : ٧ .

(٥) أي بكمية الصلاة .

(٦) أي تكون في « حالة » تفوق كل فرح آخر .

القسم الثاني

الناموس الروحي

لمرقس الناسك

مقدمـــة

للراهب ثيوكليتوس الديونيسي

حياة أبينا البار في القديسين مرقس الناسك

لمع أبونا البار مرقس الناسك في النصف الثاني من القرن الرابع ومطلع الخامس (بعد سنة ٤٣٠) . تتلمذ على يد القديس يوحنا الذهبي الفم . تكرّمه الكنيسة الأرثوذكسية كقديس في الخامس من آذار . والقديس نيقوديمس الأثوسي يذكر في كتابه السنكسار أن القديس مرقس كان محباً للكدّ في كل شيء ، فقد انكب على مطالعة الكتب المقدسة ، وبها تمكن من الوصول الى أسمى درجات النسك والفضيلة . ومما يؤيد هذين الأمرين ، هو ، أولاً ، أقواله المكتوبة التي تدل على شمول أدبها ، ومنفعتها ، وثانياً ، تمكّنه من صنع العجائب . واننا سنذكر واحدة من هذه العجائب .

عندما كان القديس يتنعم بحياة الهدوء في قلايته ، ويراقب بنات أفكاره ، جاءته لبوة تحمل ابناً لها أعمى وما أن اقتربت منه حتى أخذت تلمح له بتواضع ، مستعطفة إياه كي يتحنن على

ولدها ويداوي عينيه،فبعد ان صلّى القديس ، بصق في عينيه ، فصارتا صحيحتين . وبعد مرور بضعة ايام عادت اليه اللبوة حاملة جلد خروف مكافأة له على صنعيه الحسن وشاكرة إياه . أمّا القديس فلم يقبل هديتها مشيراً اليها بطريقة جعلتها تدرك عدم رضاه عن هذا العمل . فأجابته اللبوة بإشارة انها من الآن وصاعداً لن تؤذي خراف الفقراء .

من هذه الحادثة نستنتج انه ، ان كان قديسنا متحسّساً ومشاركاً وعطوفاً بهذا المقدار على الطبيعة غير العاقلة ، فكم يكون عطوفاً على الناس ؟

لقد كان ذات طهارة سامية الى حد جعل كاهن الاسقيط يقسم انه كان يرى ملاك الرب يمسك الملعقة المقدسة ويناول بها القديس كلما اقتراب من الاشتراك بالأسرار الإلهية . ترك العالم وما فيه وهو في الأربعين من عمره . ورقد بالرب بعد ان أتمّ ستين سنة في النسك .

كان قصير القامة ، ذا لحية خفيفة ، أصلع الرأس ، لكنه كان مشرقاً من الداخل بنعمة الروح القدس .

مؤلفاته

بقي من مؤلفاته الكثيرة ، حسب شهادة المؤرخ نيكيفورس كاليستوس ، إثنان وثلاثون مؤلفاً فقط ، ويذكرها القديس فوتيوس الكبير . أمّا المؤلفات الموجودة الآن فهي ثمانية ، منها المؤلف الذي بين ايدينا « الناموس الروحي » الذي يفوقها جميعاً .

أمّا أهمية مؤلفات البار مرقس ومقدار تأثيرها في حياة الناس والكنيسة ، فيظهر لنا من القول الشائع عند البيزنطين آنذاك : « بع كل شيء واشترِ مرقس » . ويبدو أيضاً من حياة القديس سمعان اللاهوتي الحديث ، ان أباه الروحي ، سمعان الورع ، كان يذكره بشكل خاص بالمقالة التاسعة والستين كلما أراد تزويده بالنصائح الروحية عندما كان في الثانية عشرة من عمره . وإذ سار الشاب بموجبها ، لم يمضِ عليه زمن طويل حتى سطع عليه النور الإلهي غير المخلوق ، كما يذكره هو نفسه . ويستشهد أيضاً القديس غريغوريوس بالاماس بأقوال القديس مرقس في أكثر مؤلفاته .

إن مؤلّف القديس مرقس الروحي هذا ، يتألف من مئتي مقالة صغيرة ، هي أقوال موجزة ، غاية في البلاغة ، تشبه الأمثال السائرة ، حسب العرف السائد آنذاك ، لهذا النمط من المقالات القصيرة المستقلة الملأى بالنعمة والخبرة الشخصية المكثفة .

في كافة مؤلفات القديس مرقس ، التي وصلت إلينا ، نحسّ بروحه الموحَّدة التي تعبِّر عن روحانية غنية معاشة بشكل موحَّد . وما يقال عن الآباء القديسين كافة ، يقال أيضاً عن كاتب هذا المؤلَّف : إنه عن طريق النسك التقليدي ، الصوم ، السهر ، الصلاة ، المطالعة ، النعمة الإلهية ، توصّل الى معرفة طبيعة الكائنات . فقد طهَّر الذي « بحسب الصورة » قدر استطاعته كإنسان ، ثم أعلن لاخوته خبرته بالروح القدس . ويعلّمنا ، كما تعلّم كنيسة المسيح جمعاء ، أساس الخلاص وطريقه ، وسبل الحياة الأبدية . فقبل كل ارتقاء نظري ، وقبل

كل لاهوت ، وقبل كل رغبة في المعرفة ، يُفترض العمل وتطبيق الوصايا ، والجهاد الثابت ، كما جاء في المقالة المئة والسادسة والتسعين : « من يتكلّم مدّعياً الحكمة بأمور لم يختبرها يغتني من مال الظلم ».

والقديس مرقس الناسك مشرّح عميق للنفس البشرية ، يعرف بكل دقّة وتفصيل ، طبيعة الفضائل ، طريقة اقتنائها ، أنواعها ، أصالتها ، عدم أصالتها ، نزواتها ، كيفية حفظها من هجمات الشيطان ، ومن الأهواء ومن العالم .

ويعرف أيضاً بالروح القدس أفعال الروح القدس التي في الذهن والتي في القلب . ويعرف أيضاً أهواء النفس والجسد المذمومة في كافة تطوراتها وتأثيرها على بعضها البعض وتأثير كل منها على حدة في كافة أشكاله . ويعرف أسبابها وأساليب الشفاء منها . ويدرك حيل الشيطان المعقّدة ويحسن استخدام الأسلحة التي تخيفه ويكشف خبثه الجهنمي . يعرف متى يساعد ومتى يبتعد ، متى يحزن ولماذا يتخلى ، متى يفرح وكيف يعزي ، متى يسمح بالتجارب ولماذا والى أي حدّ ، متى يؤدّب ومتى يقاصص . ويعرف ، بشكل عام ، بنعمة الله ، القضايا النفسية الروحية كلها في كافة ترتيباتها التي تؤلف الناموس الروحي . هذا وانه يعرف لا كمحلّل نفساني بالمعنى العصري للكلمة ، بل « كروحي يحكم على كل شيء » (١ كور ٢ : ١٥).

والناموس ، كما هو معلوم ، هو العلاقة الثابتة بين عنصرين أو أكثر . هذا ما يوضحه القديس مرقس في تعليمه مرتكزاً على خبرة الكتاب المقدس الروحية والآباء عامة . إنه يستحيل على

الإنسان أن يهرب من الناموس الروحي ، خاصةً انه ناموس الحرية وليس ناموس العبودية . فمضمون هذا الناموس يعبّر عنه بشكل مكثف ، في المقالة الثانية والثلاثين بالأقوال التالية : « ناموس الحرية يصبح معروفاً لدينا بالقراءة ، ويدرك بعمل الوصايا ، ويكمل بنعمة المسيح » . بهذه الثلاث : المعرفة ، عمل الوصايا ، والنعمة ، يجد كماله ، أي تتحقق في قلوبنا الحرية التي حرّرنا بها المسيح .

بناء على ما تقدّم ، يتضح ان هذه المقالات ، التي تشكل الناموس الروحي ، تؤلف قانون حياة وحرية للمؤمن ، تقيه من انزلاقات وضلالات وأحاسيس غير طبيعية . وهذا ما تبتغيه وصايا المسيح الرامية الى تحقيق الطهارة فينا بالروح القدس .

أخيراً نعتقد أننا إذا نظرنا الى مرآة هذه المقالات الروحية المقدّسة الصافية نحصل على إفادة شاملة ، سواء كنّا معلّمين لكلمة الله أم تلامذة . غير اني أرغب في أن يكون عمل البنيان حسب المنهج الأرثوذكسي الذي يجعلنا أحراراً بالمسيح ومخلّصين بالثالوث الأقدس .

الناموس الروحي

للبار مرقس الناسك

١ ـ بما أنكم أبديتم رغبتكم مراراً كثيرة في الاستطلاع على الناموس ولماذا هو روحي ، حسب الرسول ، وما هي المعرفة والعمل المطلوبان لتطبيقه ، جئت ملبّياً طلبكم وموضحاً قدر استطاعتي ما يأتي :

٢ ـ تعرف أولاً ان الله هو بدء كل صلاح ووسطه ونهايته . فالصلاح غير ممكن فعله او الإيمان به إلاّ بالمسيح يسوع وبالروح القدس .

٣ ـ كل صلاح يعطيه الرب بطريقة تدبيرية ، ومن يؤمن هكذا لا يفقد هذا الصلاح .

٤ ـ الإيمان الأكيد برج حصين ، لأن المسيح هو كل شيء للمؤمنين .

٥ ـ اجعل سيّد الصلاح سيّداً لك في كل نواياك ، حتى تتم غايتك بحسب الله .

٦ ـ عندما يقرأ المتواضع ، الذي يجاهد على أساس روحي ، الكتب المقدسة ، يفهمها موجهة له ، وليس الى غيره .

٧ ـ ابتهل الى الله حتى يفتح عيني قلبك ، لتعاين منفعة الصلاة والمطالعة ، وتدركها بالخبرة .

٨ ـ ان من اقتنى موهبة روحية ، ويشارك ألام الذين لم يقتنوها ، يصون موهبته . أمّا الذي يتباهى بها ، بدافع الغرور ، فإنه يفقدها .

٩ ـ الفم المتواضع ينطق بالحق . أمّا الذي يقاوم الحقيقة فيشبه ذلك الخادم الذي صفع الرب على خدّه . (يوحنا ١٨ : ٢٢) .

١٠ ـ لا تتتلمذ على من يمدح نفسه لئلا تجتني منه التكبر بدلاً من التواضع .

١١ ـ لا تستعلي في قلبك بمعاني الكتاب ، لئلا تسقط بفكرك في روح التجديف .

١٢ ـ لا تحاول حل أي أمر من الأمور الصعبة بالجدل بل اتبع ما يوصي به الناموس الروحي ، أي الصلاة والصبر وبساطة الرجاء .

١٣ ـ ان الذي كان يصرخ : « ارحمني يا ابن داوود » (لوقا ١٨ : ٣٨) ، كان ضريراً ، هكذا يكون حال من لم يقتنِ بعد معرفة روحية ، فإنه يصلّي جسدياً .

١٤ ـ ان الذي كان قبلا أعمى ، عندما رأى الرب ، لم يناده ابن داوود بعدما فتح عينيه ، بل اعترف به ابن الله وسجد له (يوحنا ٩ : ٣٨) .

١٥ ـ لا تترفّع عندما تفيض عيناك بالعبرات أثناء الصلاة . ان المسيح هو الذي لمس عينيك لترى عقلياً .

١٦ ـ ان من يقتدي بالأعمى وينزع عنه ثوب (العوى) ويلمس الرب ، يصبح من أتباعه ومن المبشّرين بالعقائد الكاملة .

١٧ ـ ان الشر الذي يراود الذهن باستمرار يجعل القلب صلباً ، أمّا اذا نزع منه بالإمساك والرجاء ، فإنه يسحقه .

١٨ ـ ثمة انسحاق يكون خفيفاً ونافعاً يخشّع القلب ، وآخر شاذ مؤذ يحطمه .

١٩ ـ السهر والصلاة والصبر في التجارب تسبّب انسحاقاً ومنفعة للقلب خالية من أية اذية . لكن ينبغي الانتباه للمغالاة لئلا نعطّل وحدتها . لأن من يصبر في هذه الأمور (السهر والصلاة والتجارب) يساعَد من الأخرى . ومن يتهاون بها ، غير مبالٍ بشيء ، سيتوجع جداً عند خروجه[1]

٢٠ ـ القلب المحب للذة يكون وقت الخروج مكبّلا في الأسر كما بسلاسل ، والقلب المحب للألم يكون باباً مفتوحاً امام الأبدية .

٢١ ـ القلب القاسي (المتحجّر) هو كالباب الحديدي الذي يؤدي الى المدينة التي تبقى مقفلة ولن تُفتح إلاّ أمام وجه من

(١) الخروج أي الموت .

يشقى في العذاب والضيق ، كما حصل لبطرس (أعمال ١٢: ١٠) .

٢٢ ـ ثمة أساليب كثيرة للصلاة ، يختلف الواحد فيها عن الآخر ، ولا أسلوب منها مضرّ سوى الذي ليس صلاة ، بل شغل شيطاني .

٢٣ ـ أراد إنسان مرة ان يفعل شراً ، فصلّى قبل بداية العمل حسب عادته ، فتعرقلت مساعيه بطريقة تدبيرية ، فعاد الى ذاته وشكر الله كثيراً .

٢٤ ـ عندما عزم داوود على قتل نافال الكرميلي تذكّر العقاب الإلهي فغيّر رأيه وشكر الله كثيراً . وقد عرفنا أيضاً كثرة الشرور التي ارتكبها ولم يحسب لله حساباً ولا فكّر بقطعها إلاّ عندما ذكّره بها النبي ناثان (١ مل ٢٥ : ٤ و ٢ مل : ١٢) .

٢٥ ـ عندما تتذكر الله زد طلباتك كثيراً ، وذلك حتى يذكرك الله عندما تقع في النسيان .

٢٦ ـ عندما تقرأ الكتب المقدسة ، فكر بمعانيها الخفية العميقة لأنه قيل : كل ما كتب إنما كان لتعليمنا (رو ١٥ : ٤) .

٢٧ ـ يقول الكتاب : « إن الإيمان أساس المرجوات »(عب ١١ : ١) . فالذين لا يحسّون ان المسيح يسكن فيهم ، هم غير مزكّين (٢ كور ١٣ : ٥) .

٢٨ ـ كما أن الفكر يكتشف بالأعمال والأقوال ، هكذا تُعرف المكافأة التي سننالها في المستقبل بأفعال القلب : فرح ، سلام ، حزن ، إضطراب الخ . . .

٢٩ ـ القلب الرؤوف سيرأف به ، أمّا القلب القاسي ، فسيُدان .

٣٠ ـ ناموس الحرية يعلّم الحق كله . كثير من الناس يقرأون عنه بطريقة نظرية ، وقليلون هم الذين يفهمونه فهماً عميقاً وفهمهم يرتكز على تطبيق الوصايا .

٣١ ـ لا تبحث عن كمال ناموس الحرية في فضائل بشرية لأنه ليس بكمال فيها . فكمالها مستتر في صليب المسيح .

٣٢ ـ ناموس الحرية يصبح معروفاً لدينا بالقراءة ، ويدرك بعمل الوصايا ، ويكمل بنعمة المسيح .

٣٣ ـ عندما نحاول تطبيق وصايا الله كلها بضمائرنا وبكل قوانا ، ندرك ان ناموس الرب هو بلا عيب (مز ١٨ : ٨) ، وانه يفعل في أعمالنا الصالحة . أمّا إتمامه بدون رأفات الله فمستحيل على الناس .

٣٤ ـ ان الذين يعتبرون أنفسهم غير مجبرين بإتمام وصايا المسيح كلها ، يقرأوون ناموس الله جسدياً ، إذ لا يدركون ما يقولونه ولا ما يثبتونه ، (١ تيمو ١ : ٧) . لهذا فهم يظنّون انهم يتممونه ببعض الأعمال .

٣٥ ـ ثمة شيء يبدو انه صالح ، لكن غاية من يقوم به ليست كذلك . وثمة شيء آخر سيّء ، لكن غاية من يقوم به ليست كذلك . هذه الظاهرة لا تتوقف على الأعمال فقط ، بل على القول والنيّة وهذا ناجم عن سوء نيّة الأول وجهل الثاني . وثمة حالة ثالثة أيضاً هي أن يتظاهر الإنسان بفعل الشر بغية حسن العبادة .

٣٦ ـ ان من يخفي مذمته ولومه للآخرين بمدحه إياهم ، ليس إنساناً طاهراً . ويشبه من يخفي غروره بالتواضع . فهؤلاء الذين يفسدون الحق بالكذب ، ستكتشف أعمالهم باحتقار الله لهم .

٣٧ ـ إنسان يقوم بعمل يبدو خيّراً ، ولكنه يبغي به رفع الشر عن قريبه . وإنسان آخر لا يتظاهر بمثل ذلك لكنه بدل ان يعمله يفكر به فينتفع منه .

٣٨ ـ ثمة توبيخ يكون ناجماً عن سوء نيّة وهو يؤذي . وآخر ناتج عن خوف الله وهو يفيد .

٣٩ ـ لا توبّخ أحداً على خطيئة انقطع عنها وتاب . وإذا كنت تزعم أنك توبّخه مخافة بالله ، فأظهر انت خطاياك الماضية اولاً .

٤٠ ـ كما أن ضوء نصف النهار تاجه الشمس ، كذلك كل فضيلة تاجها الله .

٤١ ـ عندما تصنع الفضيلة تذكر من قال : « بدوني لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) .

٤٢ ـ كما ان الصالحات أُعدّت للناس الذين يتحملون الشدائد ، هكذا أُعدّت الشرور للمتغمسين في اللذة والمجد الفارغ .

٤٣ ـ ان من يظلمه الناس ويصبر بفرح ، يستره الله ويقيه من الخطيئة ، وبدل الحزن يهبه التعزية .

٤٤ ـ من يؤمن بالمسيح في ما يختص بالثواب والعقاب ، يصبر بسرور على كل ظلم بمقدار إيمانه .

٤٥ ـ من يصلّي من أجل ظالميه ، يصنع الشياطين . ومن يقاوم ظالميه ، تجرحه الشياطين .

٤٦ ـ خير أن يظلمك الناس من أن تظلمك الشياطين . أمّا الذي يرضي الرب فيغلب الاثنين معاً .

٤٧ ـ كل صلاح هو منحة من الرب بتدبيره الخاص . أمّا البطّالون وغير الشاكرين ، فلا يمكنهم ان يدركوا غايته .

٤٨ ـ كل شر يقود الإنسان الى لذة خاطئة . وكل فضيلة تقوده الى تعزية روحية . فالأول عندما يتسلط على النفس يحرّك فيها مواد الخطيئة . أمّا الثانية فتحرّك فيها دواعي الفضيلة .

٤٩ ـ تعيير الناس يجلب الضيق على القلب ، لكنه يكون سبباً للطهارة لمن يصبر على التعيير بفرح .

٥٠ ـ إن جهل الناموس الروحي يمنع المنفعة عن النفس . وعندما يتفاقم هذا الجهل يزداد الشر الذي في القلب .

٥١ ـ احتمل الشدائد فلا تخسر شيئاً . واذا انت مزمع ان تحاسب أمام الله إنزع عنك الطمع .

٥٢ ـ اذا خطئت في الخفاء لا تخفي خطأك أمام الله لأنه كُتب : كل شيء عار ومكشوف لعينيّ الرب (عب ٤ : ١٣) .

٥٣ ـ اكشف نفسك للسيّد بذهنك ، لأن الإنسان ينظر الى الوجه ، أما الله فينظر الى القلب (١ مل ١٦ : ٧) .

٥٤ ـ لا تفكر بشيء أو لا تعمله خارج إرادة الله ، لأن الذي يصبر بدون هدف يتعب باطلاً .

٥٥ ـ يصعب غفران الخطايا المرتكبة بتصميم لأن عدل الله رهيب هو .

٥٦ ـ التجربة المؤلمة تذكّر الفهيم بالله . والتجربة تؤلم بقدر نسياننا لله .

٥٧ ـ ليكن كل ألم كرهي مرشداً لك إلى الله وهكذا لن تفقد السبيل الى التوبة .

٥٨ ـ ليس للنسيان قوة في حد ذاته ، ولكن قوته تسود علينا بمقدار تهاوننا .

٥٩ ـ لا تبرِّر نفسك بالقول : ماذا أفعل ؟ إن النسيان يتسلّط عليّ دون إرادتي . إنك لا تعمل ما يتوجب عليك ، « أي عندما تذكر الله صلّ وجاهد لكي تتخشع فتترك أثراً في نفسك يساعدك فيما بعد » .

٦٠ ـ اصنع الخير الذي تتذكره . والذي لا تتذكره سيعلنه لك الله . بذلك تقي فكرك من خطر النسيان .

٦١ ـ يقول الكتاب : « الجحيم والهلاك معلومان لدى الرب » (أم ١٥ : ١١) . ويعني بهما الجهل القلبي والنسيان .

٦٢ ـ الجحيم هو جهل النفس . والإثنان مظلمان . والهلاك هو النسيان والإثنان يفترضان الفقدان .

٦٣ ـ اهتم بعيوبك وليس بزلاّت قريبك وهكذا فإنك لن تفقد التمييز في ذهنك .

٦٤ ـ الكسل وحده كافٍ لإعاقتنا في عمل الصلاح . الإحسان والصلاة بإمكانهما ان يعيدا الكسالى الى النشاط .

٦٥ ـ كل ضيق في سبيل الله يشكّل عملاً أساسياً لحسن العبادة . لأن المحبة الحقيقية تُختبر بالأمور المعاكسة .

٦٦ ـ لا تقل إني أستطيع اقتناء الفضيلة دون تحمّل الضيق

لأن الفضيلة لا تُمتحن بدون الضيق .

٦٧ ـ ترقّب نهاية كل شدّة كرهية فتتحرر من الخطيئة المرافقة لها .

٦٨ ـ نصائح الغير التي تبتغي منفعتها كثيرة . ومهما كانت مفيدة لنا ، فهي لا توازي النصيحة الذاتية لنفوسنا(١)

٦٩ ـ اذا كنت تريد أن تداوي نفسك ، اهتم قبل كل شيء بتنقية ضميرك ، ومهما قال لك ، عندئذٍ ، فافعله فتجد المنفعة .

٧٠ ـ ان خفايا كل واحد يعلمها الله والضمير . وعلى أساس هذين معاً ، فليصلح كل منّا نفسه .

٧١ ـ الإنسان يفعل ما يريد وذلك حسب استطاعته . أمّا الله فيحقق له ما يلائمه حسب عدله تعالى .

٧٢ ـ اذا كنت تحبّ مدح الناس لك دون ان تقع في دينونة ، فتقبّل التوبيخ منهم على خطاياك أولاً .

٧٣ ـ اذا قبل الإنسان تعيير الناس حباً بحقيقة المسيح ، سيمجده جماهير الناس مئة ضعف أكثر . لأن خير أن يُفعل الصلاح حباً بالخيرات المستقبلة .

٧٤ ـ اذا نفع إنسان إنساناً آخر بكلامه أو بأي أمر من

---

(١) يُفترض أن يكون الانسان ناضجاً .

الأمور ، فيلعزوا كلاهما ذلك لنعمة الله . لأن الذي لا يفهم هذا الأمر ، أي الشيطان ، سيقع أسيراً بين يدي مدرك الناموس الروحي إدراكاً جيّداً .

٧٥ ـ ان الذي يتظاهر بمدح قريبه ، سيأتي وقت يعيّره قريبه مسبباً لنفسه الحزن .

٧٦ ـ من يجهل مكائد المحاربين يقضى عليه بسهولة ، ومن لا يعلم أسباب الأهواء ، يسقط بلا مقاومة .

٧٧ ـ حبّ اللذة يولّد الإهمال . ومن الإهمال ينشأ النسيان . لكن الله قد وهب الجميع معرفة الأمور النافعة لأنفسهم .

٧٨ ـ الإنسان ينصح قريبه حسب معرفته الذاتية . لكن الله يفعل في أذن السامع حسب إيمانه .

٧٩ ـ رأيت أناساً أصبحوا متواضعين بالفعل فأضحوا أحكم من الحكماء .

٨٠ ـ ورأيت ساذجاً آخر يصغي لمدح أولئك المتواضعين دون أن يقتدي بتواضعهم . فاستكبرْ لسذاجته وازداد تكبراً .

٨١ ـ ان من يستهين بفضيلة الفهم ، ويفتخر بجهله ، لا يكون ساذجاً بقوله وحسب ، بل بمعرفته أيضاً (٢ كور ١١ : ٦) .

٨٢ ـ وكما ان حكمة الكلام تختلف عن التعقّل ، هكذا سذاجة القول تختلف عن الجهل .

٨٣ ـ الإنسان الورع لا يؤذيه جهله الكلام ، والإنسان المتواضع يبقى متواضعاً مهما كان حكيماً في كلامه .

٨٤ ـ لا تبرّر نفسك بالقول : لا أعرف ماذا أعمل ، ولهذا لست مسؤولاً عمّا يجب فعله . لأنك لو فعلت كل ما تحسن معرفته من الخير ، لانكشفت لك الأمور الأخرى ، كما لو كنت تعبر البيت من غرفة الى غرفة . لا يناسبك ان تعرف الأمور اللاحقة قبل تتميم السابقة بالعمل ، لأن المعرفة تنفخ بداعي البطالة ، أمّا المحبة فتبني ، لأنها تصبر على كل شيء (١ كور ٨ : ١ ، ١٣ : ٧) .

٨٥ ـ إقرأ أقوال الكتاب المقدس واعمل بها ولا تعلّق على الأمور النظرية فتنتفخ .

٨٦ ـ من يهمل العمل ويستند على المعرفة النظرية ، يمسك بيده قصبة بدل سيف ذي حدّين . هذه القصبة ، حسب الكتاب ، ستنشب في كفه وتثقبه وتسمّمه عند الحرب ، (لأن طبيعة القصب سامّة) .

٨٧ ـ ان الله يحكم بدقة على كل فكر من أفكارنا ويقيّمه من حيث كيفيته . لأننا كثيراً ما نفكر بالشيء ذاته بنوايا مختلفة (أي بهوى أو بدون هوى) .

٨٨ ـ من يتمُم وصية، فليتوقع تجربة من أجلها . لأن المحبة في المسيح تُختبر « بالأمور المعاكسة » ، بالتجارب .

٨٩ ـ عندما تقع في التهاون ولا يعود بإمكانك أن تفكر أفكاراً صالحة ، انتبه لنفسك واطرح التهاون عنك ، لأن الله يعرف أفكارك بعصمة (بدقة) .

٩٠ ـ عندما ترى أن إحدى أفكارك توقظ فيك مجداً بشرياً ، اعلم بوضوح انه يمهد لك الخزي .

٩١ ـ ان العدو اذ يعرف عدل الناموس الروحي ، يتصدّى لنا ويطلب منّا موافقة ولو في الفكر فقط . وذلك لكي يضع المغلوب على أمره تحت طائلة العذاب مجاهداً في عمل التوبة ، أو ليعذّبه مكرهاً عندما يرى أنه لا يؤثر التوبة . فالغاية من ذلك هي ان يزيد من ألامه في هذه الحياة جاعلاً إياه في حرب مستمرة ضد الهجمات ، وأن يؤكد له عند الخروج انه غير مؤمن وعديم الصبر .

٩٢ ـ كثيرون حاربوا التجارب ، لكنهم لم ينجوا من أهوالها ، إذ كانوا بعيدين عن الصلاة والتوبة .

٩٣ ـ وكما ان الشرور تزداد قوة بتأثير الواحد بالآخر ، هكذا يكون الأمر من ناحية الصالحات . فالذي يشترك بالشر او بالخير ، يُدفع الى الأمام بغية الأفضل .

٩٤ ـ يُظهر لنا الشيطان ان الخطايا الصغيرة غير مهمّة لأنه

بدون ذلك لا يستطيع ان يحثّنا على خطايا أكبر .

٩٥ ـ أصل الشهوة القبيحة هو المدح . وأصل العفة او التعقّل هو التوبيخ على الشرور . لكن ليس عندما نسمعه بآذاننا بل عندما نتقبّله في داخلنا .

٩٦ ـ ان الذي ترك العالم وبقي محبّاً للّذة ، لم ينتفع شيئاً . لأن كل ما فعله في العالم حبّاً في كسب المال يفعله الآن وهو لا يملك شيئاً .

٩٧ ـ كذلك العفيف اذا اقتنى الأموال يكون أخاً للأول بالذكر ، فلكلاهما أم واحدة هي لذة الفكر ، أمّا أبوهما فليس واحداً نظراً لاختلافهما في الهوى .[1]

٩٨ ـ ثمة من يقطع هوى بغية لذة أفضل فيمدحه أولئك الذين يجهلون غايته . وقد لا يدرك ذلك هو نفسه فيتألم باطلاً .

٩٩ ـ سبب كل شر اللذة والمجد الباطل . فمن لا يمقت هذين ، لا يمكنه استئصال أي هوى منه .

١٠٠ ـ لقد قيل : أصل كل الشرور محبة الفضة (١ تيمو ٦ : ١٠) . لكنها تستمد وجودها من اللذة والمجد الباطل .

١٠١ ـ ان الذهن يعمى بهذه الأهواء الثلاثة : محبة الفضة ، المجد الباطل ، اللذة .

(١) الأول يتلذّذ بفكره والثاني بقنية المال. فالأول أبوه حب اللذة ، أمّا الثاني فأبوه العفاف .

١٠٢ ـ هذه الثلاثة ، حسب الكتاب المقدس ، انها ثلاث بنات لأم واحدة وهي الجهالة التي تحب بناتها (أمثال ٢٤ : ٥٠) .

١٠٣ ـ المعرفة والإيمان ملازمان لطبيعتنا ، ولم يضعفا إلاّ بهذه الأهواء الثلاثة .

١٠٤ ـ الحنق والغضب والحروب والقتل وكل صنوف الرذائل تستمد قوتها من تلك لتسود الناس .

١٠٥ ـ ينبغي ان نمقت من كل قلوبنا محبة الفضة والمجد الباطل واللذة لأنها أمهات[1] للرذائل ومحارِبات للفضيلة .

١٠٦ ـ لكي نحارب هذه، أُوصينا بمقت العالم وما فيه (١ يو ٢ : ١٥) لا أن نبغض خليقة الله بدون تفكير ، بل نقضي على أسباب تلك الأهواء الثلاثة .

١٠٧ ـ لا احد يتجنّد ويرتبك بهموم الحياة (٢ تيمو ٢ : ٤) ، لأن من يريد الانتصار على الأهواء وهو مرتبك بأمور الحياة ، يشبه من يطفىء النار بالتبن .

١٠٨ ـ من يغضب على قريبه بسبب الأموال أو المجد أو اللذة ، فهو لا يزال يجهل أن الله يدير الأمور بالعدل .

١٠٩ ـ عندما تسمع قول الرب : « من لا يترك كل ما عنده لا يستحقني » (لوقا ١٤ : ٣٣) ، لا تظن أنه يتكلم عن

---

(١) النص : خالات ، أي زوجات لرجال مترملين .

الأموال فقط ، بل عن أفعال الرذائل كلها .

١١٠ ـ من لا يعرف الحقيقة لا يستطيع أن يؤمن ، لأن المعرفة تسبق الإيمان بحكم الطبيعة .

١١١ ـ وكما وزّع الله الخصائص لكل من المخلوقات ، هكذا وهب الأفكار البشرية حرية الإختيار .

١١٢ ـ اذا خطىء أحد ولم يتب واستمر في خطيئته دون أن يصيبه شيء من حياته كلها ، فاعلم ان دينونة الله له ستكون بلا رحمة .

١١٣ ـ من يصلّ بوعي يصبر على التجارب ، أمّا الحاقد فصلاته تبقى ملوّثة .

١١٤ ـ اذا أذاك أحد أو طردك ، لا تهتم بذلك ، بل انتظر المستقبل ، تجد أن صبرك صار لك سبباً لخيرات كثيرة ، لا في هذه الحياة وحسب ، بل وفي الآتية أيضاً .

١١٥ ـ كما أنّ دواء الأفسنتين المر يشفي من المرض ، هكذا تفيد الضيقات حاد الطباع ، فالأول يهب الصحة للمريض ، والثانية تقود الى التوبة .

١١٦ ـ اذا كنت لا تريد احتمال المشقة فلا تفعل الشرور ، لأن الشرور تسبب المشقات ، وما يزرعه الإنسان فإياه يحصد (غل ٦ : ٧) .

١١٧ ـ عندما نزرع الشرور بإرادتنا ونحصد فيما بعد السيّئات قسراً عنّا ، فلا نستغربنّ عدل الله .

١١٨ ـ وكما تفصل فترة أوان الزرع عن الحصاد ، هكذا تساورنا الحيرة في قضية مصيرنا من الثواب والعقاب .

١١٩ ـ عندما تخطىء فلا تفكر بماذا فعلت قبل الخطيئة بل بماذا فكرت أيضاً ، لأنه لو لم يقبل الفكر أولاً لما تبعه الجسد .

١٢٠ ـ ان ذاك الذي يسيء في الخفاء هو أسوأ بكثير من الذين يظلمونه علناً ، ولهذا سيُعاقب بقسوة أكثر من أولئك .

١٢١ ـ ان من يحب الغش ويعمل السؤ خفية هو ، كما جاء في الكتاب ، كالحيّة التي تترصّد في الطريق لتلسع رسغ الفرس (تك ٤٩ : ١٧) .

١٢٢ ـ ان من يمدح تارة ويشتم أخرى في الأمور ذاتها هو عبد للمجد الفارغ والحسد معاً . فإنه بالمدح يخفي الحسد وبالذم يظهر نفسه أحكم ممن يذمه .

١٢٣ ـ وكما انه لا يمكن أن ترعى في مكان واحد خراف وذئاب معاً (حكمة سيراخ ١٣ : ١٧ ـ ٢١) هكذا يستحيل على من يغش قريبه أن يقتني رحمة الله .

١٢٤ ـ ان الراهب الذي يخلط إرادة مرشده بإرادته ، هو

فاسق كما يتضح من الحكمة (أمثال ٦ : ٣٢) وانه بسبب ضعفه العقلي يقاسي الأوجاع والإهانات .

١٢٥ ـ وكما ان الماء والنار لا يجتمعان سوية ، هكذا تبرير الذات والتواضع لا يتفقان معاً .

١٢٦ ـ من يطلب الصفح عن زلاّته يحب التواضع ، أمّا الذي يدين الغير يختم نفسه بالشرور .

١٢٧ ـ لا تدع خطيئة بدون محو ، مهما كانت صغيرة ، وذلك كي لا تسوقك الى شرور كبيرة .

١٢٨ ـ اذا كنت تريد الخلاص ، أحبب الكلام الصادق ، ولا تهرب عن جهل من التوبيخ .

١٢٩ ـ كلام الحقّ حوّل أولاد الأفاعي وأرشدهم للهروب من الغضب الآتي (متى ٣ : ٧) .

١٣٠ ـ من يقبل أقوال الحق يقبل الله الكلمة ذاته ، فقد قال : « من يقبلكم فقد قبلني » (متى ١٠ : ٤٠) .

١٣١ ـ يشبه الخاطىء الذي يتقبّل توبيخ الاخوة بسرور من أجل خلاص نفسه ، المخلّع الذي دلّوه من السقف فنال من الرب مغفرة الخطايا ، بفعل إيمان أولئك (مر ٢ : ٤) .

١٣٢ ـ خير أن يصلّي الإنسان بورع من أجل قريبه من أن

يوبخه على كل خطيئة .

١٣٣ ـ من يتب بالحقيقة يهزأ به الجهّال ، وهذا دليل على صدق توبته واسترضاء الله .

١٣٤ ـ المجاهد يبتعد عن كل شيء ، ولا يتوقف عن الجهاد حتى يستأصل الرب الذرية من بابل كلها (اش ١٤ : ٢٢) . (يعني انه لا يتوقف حتى يستأصل الرب كل هوى منه) .

١٣٥ ـ هب ان الرذائل القبيحة اثنتا عشرة ، فإن أحببت واحدة منها تكفّك عن إتمام الأخرى .

١٣٦ ـ الخطيئة نار متّقدة ، فإنك بقدر ما تقطع عنها المادة تنطفىء ، وبقدر ما تغذّيها تشتعل .

١٣٧ ـ اذا ترفغت بالمدح ترقّب الهوان . قيل : من يرفع نفسه يتضع (لو ١٤ : ١١) .

١٣٨ ـ عندما نزيل الشرور الإرادية من ذهننا ، علينا ان نحارب ضد الأهواء التي في النفس .

١٣٩ ـ أهواء النفس أو بالحري تأثير الخطايا القديمة او الميول السيئة ، هي التذكر غير الإرادي للخطايا السالفة . هذه الخطايا القديمة يحاربها المجاهد كي لا تصبح أهواء ، وانها تظهر أحياناً كلما حصل هجوم رغم انتصاره عليها .

١٤٠ ـ الهجوم حركة تصدر عن القلب وتكون خالية من

الصوَر . فالذين حصلوا على الخبرة بالصلاة الدائمة وتطيّروا من الأهواء ، لا يدعون هذا الهجوم يتسرّب إليهم (الى قلوبهم) .

١٤١ ـ حيث الصوَر (لذكريات خاطئة) هناك دليل القبول ، لأن الحركة التي بلا صوَر هي هجوم بلا سبب . وهناك مجاهدون روحيون نجوا من هذا وذاك .

١٤٢ ـ لا تقل إني لا أريدها وإن وردت اليّ ، لأنك وان لم تحبها ، فمع ذلك ، تحب أسبابها .

١٤٣ ـ من يطلب المدح ، لا يزال تحت الهوى ، ومن يحزن من الشدائد وينح بسببها ، فهو محبّ للّذة .

١٤٤ ـ محبّ اللذة يتمايل فكره كالميزان ، يبكي تارة على خطاياه وطوراً يحارب قريبه من أجل الملذات .

١٤٥ ـ من يختبر كل شيء ويتمسك بالخير (١ تس ٥ : ٢١) ينجِ من كل شر .

١٤٦ ـ الرجل الطويل الأناة يدلّ على كثرة التعقّل ، وكذلك من يصغي بأذنيه الى سماع الأقوال الحكيمة .

١٤٧ ـ بدون ذكر الله يستحيل اقتناء المعرفة الحقيقية ، اذ بدون الأول تكون الثانية نغلا (أي غير أصيلة) .

١٤٨ ـ القاسي القلب لا ينفعه إلاّ الكلام الدقيق على

المعرفة ، أي على الحياة الأبدية والعذاب ، لأنما بدون خوف وتوبة وأوجاع لا يرضخ لشيء .

١٤٩ ـ الإنسان الوديع ينفعه عرض صادق لتعاليم المسيح ، لأنه لا يزعج بشروره طول أناة الله ، ولا يؤنّب على مخالفات متوالية قد يسقط فيها .

١٥٠ ـ لا توبِّخ المعتز بنفسه على المجد الباطل ، بل نوّه له بالعذاب وذلّ الحياة المستقبلة . أمّا الرجل العاقل فيقبل التوبيخ بسرور بمثل هذه الطريقة .

١٥١ ـ من يمقت التوبيخ يثبت بإرادته في هواه (ام ١٢ : ١) . أمّا الذي يحب التوبيخ على خطيئته ، فمن المحتمل ان يهتزّ له .

١٥٢ ـ لا تبتغِ تعلّم شرور الآخرين ، لئلا تتأثر بها نفسك .

١٥٣ ـ اذا سمعت أقوالاً بذيئة لا تغضب على قائلها بل على نفسك ، لأنك ما دمت تسمع أقوالاً قبيحة ، فهذا دليل على عدم طهارة أذنيك .

١٥٤ ـ اذا وُجد أحد بين قوم يتكلّمون بالباطل ، فليحسب نفسه مسؤولاً عن هذه الأقوال ، لأنه وان لم يشأ سماعها في تلك اللحظة فقد فُرض عليه ذلك نتيجة دين قديم بقي عليه .

١٥٥ ـ اذا رأيت أحداً يمدحك بمراءاة ، ترقّب منه الشتيمة في حينها .

١٥٦ ـ اعتبر الضيقات الحاضرة عربوناً للخيرات المستقبلة . فبذلك لن تبرد الزلّة حرارة جهادك .

١٥٧ ـ عندما تمدح إنساناً على عطيّة ماديّة ، كفاعل خير ، دون أن تشكر الله ، اعلم انه سيبدو لك فيما بعد رجلاً شريراً .

١٥٨ ـ كل خير يأتي من الرب بطريقة تدبيرية . فالذين ينقلون هذا الخير هم خدّام له .

١٥٩ ـ اقبل تقلّبات الخيرات والسيّئات بفكر هادىء . فبذلك يبعد الله شواذ الأمور عنك .

١٦٠ ـ ان تضارب الأفكار البشرية ، يسبب تبدّلاً وبلبلة في الأمور ، لأن الله يداوي بلبلات الأفكار ، بنتائجها الشاذة .

١٦١ ـ ان المحسوسات ، فضائل كانت أم سيّئات ، هي وليدة حالات عقلية مطابقة لها . وهي بحسب عدل الله تحمل المدح أو العار .

١٦٢ ـ من القلب المحبّ اللذة تخرج أفكار دنسة . كما أن المادة المحترقة يشير إليها الدخان المنتشر في الهواء ، هكذا تعرف نوعية الأفكار بنوع الهوى الذي في النفس .

١٦٣ ـ جاهد لتقتني الهدوء في ذهنك حتى لا تتعبك

التجارب ، واذا خرجت من خلوة الهدوء وتشتّت فكرك هنا وهناك ، فاحتمل التجارب بصبر .

١٦٤ ـ صلّ لئلا تداهمك تجربة (متى ٦ : ١٣) . واذا داهمتك ، فاعتبر نفسك السبب دون غيرك .

١٦٥ ـ ارفع عنك كل فكر طمع حتى تتمكن من رؤية حِيَل الشيطان .

١٦٦ ـ من يظّن انه يعرف حِيَل الشيطان كلها ، يقع فيها دون أن يدري .

١٦٧ ـ عندما يتحرر الفكر من الاهتمامات الجسدية ، يستطيع ، بنسبة طهارته ، رؤية حِيَل الأعداء .

١٦٨ ـ ان المستعبَد لأفكاره ، يظلّم عقله بها . فإنه ، وان رأى تأثير الخطيئة فيه ، لا يستطيع إدراك أسبابها .

١٦٩ ـ هناك انسان يبدو ظاهرياً انه يتمم وصية ما ، لكنه ضمناً يكون عبداً للهوى ، وبذلك يفسد العمل الصالح بأفكاره السيّئة .

١٧٠ ـ في مستهلّ انجرافك وراء شهوة عمل الشر ، لا تقل بأنها لن تنتصر عليك ، لأنك بقدر ما تجذبك ، فأنت مسحوب لها .

١٧١ ـ يبدأ كل شيء عند تكوينه ، فكرة صغيرة ، وإذ

يغتذي ، يأخذ بالازدياد (النمو) .

١٧٢ ـ تشبه أساليب الشر شبكة معقّدة ومن يشتبك فيها قليلاً يعلق بجملته إذا ما تهاون .

١٧٣ ـ لا تحاول تقصّي أخبار مصائب من لا يحبونك بغية الشماتة ، لأن من يفرح بمصيبة عدّوه سيحصد ثمار نواياه .

١٧٤ ـ لا تظن ان الخطيئة سبب كل ضيق يقع فيه الناس . هناك أناس أبرياء تداهمهم التجارب . فقد كُتب : « ان الأئمة والمنافقون يستأصلون » (مز ٣٦ : ٢٨) وكذلك المؤمنون الذين يريدون الحياة في المسيح يُضطهدون (٢ تيمو ٣ : ١٢) .

١٧٥ ـ عندما تقنع في ضيق ، انتبه لهجوم اللذة ، لأن اللذة ، في كافة أنواعها ، تلطف الضيق وتجعله مقبولاً .

١٧٦ ـ سُمّي البعض عاقلين لأنهم يميّزون بين الأشياء المحسوسة ، أمّا العاقلون بالحقيقة فهم أولئك الذين يضبطون ميولهم الخاطئة .

١٧٧ ـ لا تطع قلبك قبل ان تزيل منه الشرور ، لأنه يطلب المزيد ممّا هو فيه .

١٧٨ ـ وكما توجد أفاعي في الجبال وأفاعي معششّة في البيوت، هكذا فإن أهواء ترتسم في الذهن وآخر ، واخرى تظهر بالأعمال وان اتخذت شكلها الحاضر على مراحل متوالية .

١٧٩ ـ عندما تحسّ داخل قلبك وانت في الهدوء ، بتحركات قبيحة تحثّك الى القبول ، فاعلم ان فكرك قد سبق له وتحرك بمثل هذه ووقع في الخطيئة ثم خبأها في القلب .

١٨٠ ـ الغيوم لا تتجمع ما لم تدفعها الرياح . والهوى لا يتولّد بدون فكر .

١٨١ ـ اذا امتنعنا عن فعل ما يهواه الجسد حسب الكتاب (اف ٢ : ٣) تتوقف بسهولة تحركات الأهواء بمعونة الرب .

١٨٢ ـ ان الصوَر التي في الذهن ، والتي اتخذت طابعاً وجودياً قوياً في الداخل ، تكون بالفعل أشدّ تأثيراً من الصوَر الناتجة عن التفكير . هذه الأخيرة هي سابقة للأولى وتكون مسبِّبة لها .

١٨٣ ـ هناك شر يتملّك القلب بسبب خطيئة مزمنة ، وثمة شر آخر يحارب الفكر من خلال الأشياء اليومية .

١٨٤ ـ ان الله يحاسب ا ّ ـ أكثر من الأعمال . قيل : ليعطكَ الرب حسب قلبك (مز ١٩ : ٥) .

١٨٥ ـ من لا يصغي الى صوت ضميره ، لا يمكنه أن يصبر على أتعابه الجسدية التي تساعده في حسن العبادة .

١٨٦ ـ الضمير كتاب طبيعي ، فمن يقرأه عاملاً به ، يعنه الله .

١٨٧ ـ من يرفض بإرادته الأتعاب التي من أجل منفعة نفسه ، تحلّ به التجارب الشديدة بتواتر .

١٨٨ ـ من يعرف مشيئة الله ويتمّمها قدر استطاعته ، يفتدِ الأتعاب الكبيرة بالصغيرة .

١٨٩ ـ من يبتغِ الغلبة واحتمال التجارب بدون الصلاة فلن ينجو منها بل يقع في أشراكها .

١٩٠ ـ ان الرب مستتر في وصاياه . فالذين يبحثون عنه يجدونه فيها بقدر ما يعملون بها .

١٩١ ـ لا تقل إني أتممت الوصايا ولم أجد الرب ، لأنك ، بإتمامك الوصايا ، كثيراً ما وجدت معرفة روحية وفضائل ، كما يقول الكتاب : « ان الذين يبتغون الربّ ، بالحقيقة ، يجدون سلاماً » (ام ١٦ : ٨) .

١٩٢ ـ السلام هو التحرّر من الأهواء ، ولا يمكن اقتناؤه بدون فعل الروح القدس .

١٩٣ ـ العمل بالوصيّة غير الفضيلة ، ولو كان فعل الصلاح متبادل بينهما .

١٩٤ ـ العمل بالوصيّة هو إتمام ما أوصيت به . أمّا الفضيلة فهي الحالة الروحية التي تسر بحقيقة الوصيّة . أي ان الوصيّة تنفذ مرة ولا تنفذ أخرى ، لعدم ثبات النفس . أمّا الفضيلة فهي

حالة القداسة الثابتة .

١٩٥ - وكما ان الغنى المادي ، بشكل عام ، هو واحد ، لكنه متعدّد في طبيعته ، هكذا الفضيلة واحدة في تعدّد أشكالها .

١٩٦ - من يتكلّم مدّعيا الحكمة بأمور لم يختبرها ، يغتنِ من مال الظلم ، كما يقول الكتاب ، وتضحى أتعابه في بيوت الغرباء (ام ٥ : ١٠) .

١٩٧ - وكما ان الأشياء البشرية تخضع كلها للذهب حسب المثل الشعبي ، هكذا ينبغي أن توجَّه الطبائع العقلية بالنعمة الإلهية .

١٩٨ - يُكتسب الضمير الصالح بالصلاة ، وتُكتسب الصلاة النقية بالضمير الصالح فالواحد بحاجة الى الآخر بحكم الطبيعة .

١٩٩ - صنع يعقوب ليوسف قميصاً كثير الألوان (تك ٣٧ : ٣)، ويعطي الرب معرفة ن للوديعين، كما كُتب: «سيُعلّم الوديعين طرقه» (مز ٤ . ٦) .

٢٠٠ - إصنع الملاح دائماً قدر ما تستطيع ، وفي الزمان الذي يزداد فيه لا تعو. فتقلل من صنعتك ، لأنه قيل ان الذي يرجع الى الوراء لا « يستحق ملكوت السماوات » (لو ٩ : ٦٢) .

القسم الثالث

في الذي يعتقدون أنهم بالأعمال يتبرّرون

لمرقس الناسك

مقدّمة

للراهب ثيوكليتوس الديونيسي

سبق ان تكلمنا عن القديس مرقس الناسك وحياته في مقدمة فصوله حول «الناموس الروحي»، وهو ذاك الأب الذي شاع عنه القول: «بعْ كل شيء واشترِ مرقس».

يُعرِب عنوان هذه الفصول: «في الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبرّرون» عن هدف كتابتها. يعتقد البعض أن لوصايا الرب والأعمال ذات الطابع النسكي والاجتماعي هدفٌ بحدّ ذاتها وأنها تعود إلى خلاص النفس وتبرير الإنسان.

إن القديس مرقس يبحث الموضوع بكلّيته من منظار كتابي قائلاً: «إذا كان المسيح قد مات من أجلنا، كما جاء في الكتب، لكي لا نحيا لأنفسنا بعد بل للذي مات من أجلنا واشترانا (٢ كور ٥: ١٥)، فمن الواضح إذاً أنه يجب علينا أن نخدمه حتى الموت» (الفصل ٢٠)، ويشدّد «أنه لا يتوجب على السيّد ان يدفع أَجْراً لعبيده» (الفصل ١٩).

إنه يوجز المفهوم الأرثوذكسي للأعمال في تفسيره للمقطع الانجيلي (متى ١٦ : ٢٧) . « عندما تسمع الكتاب يقول أنه « سوف يجازي كل واحد بحسب أعماله » ، فلا تفهم ان الأعمال بحد ذاتها تستحق الملكوت أو الجحيم ، إذ ان المسيح سيجازي كل واحد على إيمانه أو عدم إيمانه به ، ليس كمقايض يبادل بين الاشياء ، بل كإله قد خلقنا وافتدانا » (الفصل ٢٢).

ومن ثمّ يحصر الموضوع بمجمله في حياة النفس وموتها. فيعرض وجوه الحياة في المسيح جميعها، ويحلّل الأهواء وعلاقاتها مع بعضها البعض وكيفية التحرر منها، ويتكلم عن فعل النعمة ، ويدخل في عمل الناموس الروحي حتى ينتهي في التشديد على ضرورة التحرر من الاهتمامات الدنيوية ومن الأفكار غير الطاهرة للدخول الى المكان الطاهر في النفس حيث تسكن النعمة. وهذا ما نجده بشكل واضح في الفصلين ٢٢٤ و٢٢٥ اللذين استعملهما القديس غريغوريوس بالاماس في رسالته الى الراهبة كساني .

وهكذا إذ يربط الموضوع بمشكلة حياة النفس، يجعل «الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبررون» يعودون إلى ذواتهم وينظرون إلى الجحيم التي فيهم والفردوس ، وإلى الشياطين وسكنى الثالوث الأقدس ، وكلّ ما تولّده الأهواء والفضائل ، وكيف يعمل « الشيطان الآخذ شكل ملاك نوراني » .

وهكذا أمام هذه المأساة الإنسانية الصميمة، يجدر بكل واحد من «الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبررون» أن يتحرر من خداع الشيطان، الذي يقنعه أن مشكلة الحياة في المسيح، والأبدية، والعشق الإلهي غير المحدود، والدخول في الغمامة الإلهية، والتحرر في المسيح والاشتراك في النور غير المخلوق، ان كل هذه الأمور تحُقق بواسطة بعض الأعمال الخارجية. أمّا الإطار الذي عاش فيه القديس مرقس الناسك ومنه كتب، فهو جهاد ضد الشياطين، تنهدات، دموع، صلاة بلا انقطاع، أصوام، سهر، حرب طاحنة ضد الأهواء، تواضع عميق، انسحاق قلب، تحت كنف النعمة الإلهية.

بالحقيقة هذه هي مشكلة الإنسان العصيبة وهذه طريقة حلّها. هذا ما يذكره الآباء في كتاباتهم وما يعلّموه. إنه لمستحيل أن يتحرر أحد من الأهواء ومن الأفعال الشيطانية دون الدخول في «الطريق الضيّق»، ودون خبرة الآباء المكتسبة بعد جهاد مرير. إنه لمستحيل أن يتحبّب أحد الناموس الروحي، الذي يفترض وجود إله، اب، يحبّ أولاده ويؤدّبهم بحسب رحمته وعدالته لكي يصبحوا «مشاركين الطبيعة الإلهية».

ينسب القديس مرقس المشكلة الى وصايا الرب يسوع. إن تتميم الوصايا مقياس لمحبة الله. لهذا قال الرب: «من يحبني

يحفظ وصاياي، ويحبه أبي وأحبه أنا وأظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١). أمّا تتميم الوصايا فهو ليس حصيلة الجهاد الإنساني فقط بل نتيجة مؤازرة النعمة الإلهية أيضاً. وبالرغم من ذلك لا يستطيع الانسان - وإن ظلّلته النعمة لتتميم الوصايا - الوصول إلى محبة الله والقريب دون الاحزان وانسحاق القلب والتواضع. طبعاً هذه نعمة إلهية، لكنها تتطلب جهاد الانسان المتواضع. وكما قيل: «الله يعمل أمّا الانسان فيعرق».

ومن ثُمَّ يميِّز قديسنا بين الوصايا وبعض الأعمال التي يقوم بها الانسان «بالطبيعة» - أي بدون مشاركة النعمة - والتي هي عبارة عن دحض للشرّ الموجود فيها، ويقول ان هذه الأعمال لا تجلب التقديس للنفس (الفصل ٢٤). لذلك يهدف الأب البار ان يجعلنا نادمين، متواضعين، منتبهين ان «كل فضيلة تُمارس حتى الموت ليست سوى الامتناع عن الخطيئة» (الفصل ٢٥)، (الذي) هو عمل طبيعي وليس مقايضة للملكوت. ويعرض الحالات التالية بتفصيل: «العفيف يبتعد عن الشراهة، وغير المحب للقنية عن الطمع، والهادىء عن الثرثرة، والطاهر عن التساهل، والمحتشم عن الدعارة، والقنوع عن البخل، والوديع عن الضوضاء، والمتواضع عن المجد الباطل، والمطيع عن المشاجرة، والموبِّخ ذاته عن الرياء. وكذلك يبتعد المصلّي

عن اليأس ، والفقير عن الممتلكات والمعترف عن الإنكار ، والشهيد عن عبادة الأوثان . . . » (الفصل ٢٥) .

بالنتيجة ، إن كل شيء نعمة ورحمة إلهية ، وباطلاً يتعب «الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبررون» . وما يطلبه الله منّا هو أن نحبّه ، من كل النفس والفكر والقوة ، وأن نحب القريب كنفسنا «كعبيد مُشْتَرين» من الموت الأبدي بدمه الكريم . ويجب إذاً أن نثبت في التعليم الأرثوذكسي ، الذي بموجبه «نحن الذين أُهِّلنا للولادة الثانية ، أي المعمودية المحيية ، فلا نقومنّ بالأعمال الصالحة بغية المقايضة لكن لكي نحفظ بواسطتها (الأعمال) نقاوة المعمودية المقدسة » (الفصل ٢٣) ونسير في طريق « المثال » والتألّه .

إن كل وجوه الحياة الأرثوذكسية التفصيلية تشكّل وحدة غير متجزئة ضمن الكنيسة ، وإذا ابتعدنا عن حياة الكنيسة الروحية نقع في الشك ونصل إلى روحانية مريضة .

إن نصوص العبادة الأرثوذكسية لم تكتفِ بذم جهاد « الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبررون » ، بل شدّدت على أن مَنْ يعيش مكتفياً بقواه البشرية سيقع في حالة تشوّش ، كي لا نقول انفصام في الشخصية ، وسيسمع ، عند مماته ، النشيد المرنم في صلاة نصف الليل ، الذي يؤكد انه « أصبح مغارة

لصوص وألعوبة في أيدي الشياطين » وأن « لا رجاء في الخلاص بواسطة الأعمال » .

بالحقيقة ، إن الحرب الموجّهة ضد الحياة الرهبانية ، هذه الحرب المنتشرة لدى بعض المؤمنين ، هي نتيجة الاعتقاد أن الانسان إنما بأعماله يتبرر . اذ ، عندما يعتقد أحدنا أنه سيخلص بأعماله ، لا يجد أي معنى للنسك والتعب والأصوام والسهر والصلاة غير المنقطعة والطاعة والانسحاق والدموع والحزن والتنهدات ، هذه الأعمال التي يقوم بها الرهبان !

ان هذه الفضول الـ ٢٢٦ لأبينا البار المتوشّح بالله مرقس الناسك تشدّد على الحياة الروحية ، مستوحاة من عبير النعمة الإلهية ، التي تعلّم اولاد الله قائلة : « إذا فعلتم جميع ما أُمرتم به ، فقولوا إنّنا عبيد بطالون ، لأننا فعلنا ما كان يجب علينا فعله » (لو ١٧ : ١٠) .

في الذين يعتقدون أنهم بالأعمال يتبررّون

للقديس مرقس الناسك

١ ـ ستُدحض معتقدات الضالين الساقطة وتُعرَف من الأمور التي سنعرضها فيما يلي ، والتي يؤمن بها الذين عرفوا الحقيقة .

٢ ـ قال الرب ، إذ أراد أن يبيّن أن حفظ كل وصيّة واجب بينما تبنّيه لنا هو هبة دمه الخاص : « وأنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به ، فقولوا إنّنا عبيد بطّالون ، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا فعله » (لو ١٧ : ١٠) . ولهذا ليس ملكوت السماوات أجراً للأعمال ، لكنه هبة النعمة المُعَدّة من الرب لعبيده الأمينين .

٣ ـ لا يطلب العبد حريّته كأجر ، لكنه يسعى كمَدين أن يُرضي ربّه راجياً أن يتحرّر بالنعمة .

٤ ـ « مات المسيح من اجل خطايانا كما في الكتب » (١ كور ١٥ : ٣) ، ومنح الحرية للذين خدموه بإيمان . لذلك يقول : « نعمّا لك أيها العبد الصالح والأمين ، كنت أميناً على القليل فأقيمك على الكثير ، أدخل إلى فرح سيّدك » (متى ٢٥ : ٢١) .

٥ ـ ليس العبد الأمين مَنْ يعتمد على المعرفة النظرية ، بل مَنْ يعبّر عن إيمانه بالمسيح بحفظه وصاياه .

٦ ـ مَنْ يكرّم الرب يعمل الوصايا . وإن أخطأ أو خالف عليه أن يحتمل بصبر ما ينتج كشيء يستحقه .

٧ ـ إذا كنت محبّاً للمعرفة الحقيقية فتكرّس لحياة النسك أيضاً ، لأن المعرفة النظرية ـ بدون العمل ـ تجعل الانسان ينتفخ ويتباهى (راجع ١ كور ٨ : ١) .

٨ ـ إن التجارب التي تواجهنا ، بشكل مفاجيء غير متوقّع ، يسمح الله بها بتدبيره ، لكي تجعلنا محبّي التعب والجهاد ، وتقودنا إلى التوبة حتى عندما نكون غير ميّالين لها .

٩ ـ إن الأحزان المختلفة والضيقات التي تواجه البشر إنما تأتي بسبب سيّئاتهم . لكننا إن احتملناها بشكر وصلاة تفيض علينا بعدها الصالحات .

١٠ ـ يُسرّ البعض داخلياً إذا مدحهم الناس من أجل فضيلتهم ، ويظنّون أن هذا السرور ، الذي يولّده مجدهم الباطل ، إنما هو فعل الروح القدس . ويشعر البعض الآخر بالألم إذا ذمّهم الناس على خطيئة ما ، ويحسبون أن ألَمَهُم الشافي هذا هو من فعل الهوى .

١١ ـ إن كل الذين يُقرّون ـ بداعي جهادهم ـ المتهاونين هم مترفّعون ، ويعتقدون أنهم سوف يتبرّرون بأعمالهم الجسدية . أمّا نحن الذين نعتمد على معرفتنا النظرية ، ونحطّ

من قدر الجهّال ، فإننا أكثر حماقة من أولئك السابقين .

١٢ ـ تبقى المعرفة ، وإن كانت حقيقيّة نظرياً، مجرّدة لا أقنوم لها (لكي تتجسد فيه) إن لم تتزاوج مع العمل المناسب ، لأن العمل هو الذي يؤكّد الحقيقة في كل أمر ويثبتها.

١٣ ـ تصبح هذه المعرفة الرفيعة، في كثير من الاحيان، مظلمة بسبب إهمال العمل. أمّا الذين يهملون الأعمال كلّياً ، فإنهم يطفئون هذه المعرفة مع مرور الزمن.

١٤ ـ لهذا يعلّم الكتاب أن نقترب من الله « بالمعرفة » (Gnosis) (أي بالنفس التي تشعر وتحسّ) ، وذلك بالضبط ، لكي نخدمه باستقامة بواسطة الأعمال .

١٥ ـ عندما نتمّم الوصايا حقاً، نأخذ من الرب عندئذ الأجر الملائم (أجر الإيمان) ، ونجلب الفائدة للنفس بحسب هدفنا ونيّتنا.

١٦ ـ كلّ من يريد القيام بشيء ما ولا يستطيع، هو أمام الله عارف القلوب كمن فعل هذا الشيء . وهذا ينطبق على الصالحات والطالحات أيضاً .

١٧ ـ يستطيع الذهن القيام بأعمال صالحة وسيّئة كثيرة بدون مرافقة الجسد. امّا الجسد فلا يستطيع بدون الذهن القيام بأي عمل (صالح أم طالح)، لأن الرغبة والميل في القيام بعمل ما يسبقان العمل .

١٨ ـ هناك من لا يتمّمون الوصايا ومع ذلك يعتقدون أنهم يؤمنون باستقامة. وهناك من يحفظون الوصايا ، لكنهم ينتظرون ملكوت الله كأجر لأعمالهم. إن كليهما قد ابتعد عن الحقيقة.

١٩ ـ لا يتوجّب على السيّد أن يدفع أجراً لعبيده . ومن جهة أخرى فإن الذين لا يخدمون حسناً لن ينالوا الحرية .

٢٠ ـ إذا كان المسيح قد « مات من أجلنا كما جاء في الكتب » لكي « نعيش لا لأنفسنا بل للذي مات وقام من أجلنا » (٢ كور : ٥ : ١٥) ، فمن الواضح انه يجب علينا ان نخدمه حتى الموت . فكيف يمكننا إذاً ان نعتبر ان تبني الله لنا هو من حقنا ؟

٢١ ـ المسيح سيّدنا بالجوهر والتدبير أيضاً . إنه خَلقنا من العدم ، وبدمه اشترانا ، نحن الموتى بالخطيئة ، ووهب نعمته للمؤمنين به .

٢٢ ـ عندما تسمع الكتاب يقول أنه «سوف يجازي كلّ واحد بحسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧) ، فلا تفهم ان الأعمال بحد ذاتها تستحق الملكوت او الجحيم، اذ ان المسيح سيجازي كل واحد على أعمال إيمانه أو عدم إيمانه به، ليس كمقايض يبادل بين الأشياء، بل كإله قد خلقنا وافتدانا.

٢٣ ـ نحن الذين أُهِّلنا للولادة الثانية، أي المعمودية المُحيية، فلا نقومنّ بالأعمال الصالحة بغية المقايضة بل لكي نحفظ بواسطتها (الأعمال) نقاوة المعمودية المقدسة .

٢٤ ـ كل عمل صالح نتمّمه بقوانا الطبيعية هو دحض للشرّ المضاد له، لكنه، بدون النعمة، لا يستطيع أن يجلب لنا التقديس.

٢٥ ـ إن العفيف، يبتعد عن الشراهة ، وغير المحبّ للقنية عن الطمع ، والهادىء عن الثرثرة ، والطاهر عن التساهل والمحتشم عن الدعارة ، والقنوع عن البخل ، والوديع عن الضوضاء ، والمتواضع عن المجد الباطل ، والمطيع عن المشاجرة ، والموبِّخ ذاته عن الرياء . وكذلك يبتعد المصلّي عن اليأس ، والفقير عن كثرة الممتلكات ، والمعترف عن الإنكار ، والشهيد عن عبادة الأوثان . أترى إذن أن كل فضيلة تُمارس حتى الموت ليست سوى الا٠ عن الخطيئة ؟ والامتناع عن الخطيئة هو عمل طبيعي رئيس مقايضة للملكوت .

٢٦ ـ يصعب على الانسان أن يحفظ نفسه في وضعها الطبيعي، أمّا المسيح فيهب مجّاناً التبنّي بواسطة صليبه.

٢٧ ـ هناك وصيّة جزئية وأخرى شاملة. يوصينا السيّد ، بواسطة الاولى، ان نُحسن للذين لا يملكون شيئاً، وبالثانية أن نزهد بكل ممتلكاتنا صائرين عادمي القنية بالكليّة.

٢٨ ـ هناك فعل للنعمة لا يستطيع أن يميّزه الطفل الروحي (المبتدئ)، إذ يوجد ايضاً فعل شيطاني مشابه لفعل النعمة. علينا ألاّ نقبل هذه الحالة علّها تكون خدعة من الشيطان، وألاّ نرفضها أيضاً علّها تكون النعمة الحقيقية، بل ان نلجأ بالتأكيد الى الصلاة لكي تنجلي لنا الحقيقة إذ أن السيّد يعرف ما هو مفيد.

٢٩ ـ على من يريد أن يعبر بحر الأهواء والتجارب أن يصبر ويتواضع ويسهر ويتعفّف. فبدون هذه الأربعة، سيجلب قلقاً واضطراباً لنفسه ولن يصل إلى السلام وحالة اللاهوى.

٣٠ ـ إن السكينة تفصلك عن أسباب الخطيئة. وإذا جمع أحدنا الصلاة بالفضائل الأربع السابق ذكرها فإنه يكون قد وجد أقصر طريق الى حالة اللاهوى.

٣١ ـ يستحيل صفاء الذهن وسكونه دون مشاركة الجسد، ويستحيل ايضاً انسجام النفس والجسد بدون السكينة والصلاة.

٣٢ ـ «إن الجسد يشتهي ما هو مضاد للروح، والروح ما هو مضاد للجسد» (غلا ٥: ١٧)، أمّا الذين يعيشون بالروح فلا يتممون أي شهوة جسدانية.

٣٣ ـ إن لم تكن الصلاة استدعاءً عقلياً دائماً للرب، فهي غير فاعلة. أمّا الرب فيستمع للمصلّي عندما يصرخ إليه بدون زيغ.